ابراهيم حامد الخالدي

النبهاني وتحفته

الشيخ محمد بن خليفة النبهاني
وكتابه "التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية"

وبذيله ثلاثة ملاحق

1 - مختصر الجزء الثامن من التحفة: (جزء الكويت)

2 - نصوص مختارة من التحفة النبهانية

3 - الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية

النبهاني وتُحفته

الشيخ محمد بن خليفة النبهاني وكتابه التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية

وبذيله ثلاثة ملاحق:

١- مختصر الجزء الثامن من التحفة: (جزء الكويت)

٢- نصوص مختارة من التحفة النبهانية

٣- الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية

تأليف

إبراهيم حامد الخالدي

عنوان الكتاب: النبهاني وتُحفته.

العنوان الفرعي: الشيخ محمد بن خليفة النبهاني وكتابه التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية

وبذيله ثلاثة ملاحق:

١- مختصر الجزء الثامن من التحفة: (جزء الكويت)

٢- نصوص مختارة من التحفة النبهانية

٣- الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية

تأليف: إبراهيم حامد الخالدي

الطبعة الأولى: الكويت ٢٠١٥م

مقدمة

كتابٌ جَمٌّ الفائدة.. قليلُ الحظ!

يُعدُّ كتاب «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» لمؤلفه الشيخ محمد بن خليفة النبهاني أحد أهمّ الكتب المتعلقة بتاريخ الخليج العربي وجنوب العراق التي صدرت في النصف الأول من القرن العشرين، خاصة وأن أجزاءه الأربعة التي وصلت لأيدي القراء غزيرة المعلومات، جمة الفائدة، نتج كثير منها عن معاينة شخصية للمؤلف، أو هي منقولة عن رواة ثقات، صاغها المؤلف في عبارة سهلة متقنة الصياغة.

إضف إلى ذلك أن اثنين من هذه الأجزاء: (البحرين والمنتفق)، كان للنبهاني قصب السبق والريادة في التأريخ لهذين المبحثين، وهاتين الإمارتين، كما لا يخلو الجزآن الباقيان (الكويت والبصرة) من فوائد كثيرة، ومعلومات متميزة، خاصة وأن النبهاني كان يكتب كما أسلفنا عن معاينة شخصية، ومعرفة متعمقة، ومعايشة لصيقة بالمناطق التي ألّف عنها.

ورغم ذلك، فالكتاب قليل الحظ بالفعل، وتأكد ذلك عبر محطات عديدة، وإليكم بعض الأمثلة على هذه المسألة:

١- طبع الكتاب أول مرة سنة ١٩١٤م في بغداد (الجزء الخاص بالبحرين فقط)، وكان العراق وقتئذ يستعد لخوض الحرب العالمية الأولى، مما لم يترك لهذه الطبعة الفرصة للرواج، والتوزيع الجيد، واحتفاء القراء والصحف بها، وتكاد أن تكون مفقودة الآن إلا عند قلة من الباحثين.[١]

(١) يمتلك الباحث الكويتي صالح المسباح نسخة مختومة من المؤلف لهذه الطبعة البغدادية، وزودني مشكوراً ببعض الصور منها، كما حدثني الباحث البحريني بشار الحادي عن امتلاكه لنسخة مصورة عن تلك الطبعة.

٢- بينما كان المؤلف يجمع المواد، ويقتني الصور الفوتوغرافية النادرة، ويبيّض مسودات الطبعة الثانية من جزء البحرين، ومسودات بقية الأجزاء، فإذا به يؤسر من قبل الإنكليز، وتُسلب منه كل أوراقه ومقتنياته، وبعد أن يتحرر من الأسر والرقابة بعد ثلاث سنوات يعود لجمع مادة كتابه من جديد، ولكن أين فورة النشاط الأولى من محاولات التعويض اللاحقة؟

٣- في سنة ١٩٢٤م يطبع المؤلف كتابه في مصر جزأين من كتابه هما: (البحرين والبصرة)، ثم ألحقهما بعد سنوات خمس بجزء ثالث هو (المنتفق)، ولكنه يخبر قراءه أن كتابه هذا متكون من اثني عشر جزءاً تشمل كافة أقاليم الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وهو الأمر الذي ظل تخطيطاً على الورق - فيما يبدو - حتى الآن، وبالتالي فإن ثمانية أجزاء من هذا الكتاب ظلت مخطوطة لم يتيسر للمؤلف طبعها - كما أزعم، وعندما ساعدته الظروف لطباعة الجزء الرابع (الكويت) في آخر سنوات عمره كان قد أنهكته السنين، ولم يعد يمتلك المثابرة القديمة على البحث، فظهر هذا الجزء ناقص المعلومات غير مستوفٍ للموضوع، إضافة إلى فقدان ملزمة من آخر ذلك الجزء خلال الطباعة فيما يبدو، فلم تظهر للنور.

٤- كان المؤلف يمنّي النفس بوجود فرصة لإصدار الطبعات المتلاحقة من كتابه التاريخي هذا، ولذلك نجده يترك فراغات في النص بقصد استكمالها في الطبعات اللاحقة، أو يحيل القارئ على الأجزاء التي لم تطبع من كتابه، أو يستنجد بالقراء لإمداده بالمعلومات والصور الفوتوغرافية لضمها للطبعات التالية، وهو الأمر الذي لم يتحقق للمؤلف في حياته.

٥- توفي النبهاني قبل حوالي ٦٥ عاماً، ولابد أنه ترك أوراقاً وكراسات ومخطوطات، ولكنها ظلت بعيدة عن أيدي الباحثين والقراء، بل لا يعرف شيء عن مصيرها، ولم نستدل على ورثة له ظاهرين للعيان.

٦- ظلت طبعات العشرينيات من التحفة عزيزة المنال لا تتوفر إلا لدى قلة من المهتمين، وبعض المكتبات، ولم تتيسر إعادة طبعها إلا في سنة ١٩٩٩م ليعود هذا الكتاب النفيس إلى التداول العام مرة أخرى.

ولكن – للأسف - كانت إعادة الطباعة منقوصة، فحذفت كافة الصور الفوتوغرافية التي يتجاوز عددها الستين عدا صورتين أو ثلاث، ولم تشتمل الطبعة الجديدة على الجزء الخاص بالكويت، إضافة إلى وقوع بعض التحويرات في النص، والأخطاء الطباعية، كما أنها خلت من أي تحقيق جاد للنص، أو دراسة عن المؤلف النبهاني أو كتابه، وهو ما أحاول في هذا الكتاب تعويضه.

٧- تلقّفت بعض دور النشر الطبعة الجديدة (المنقوصة)، فأعادت طبعها عدة مرات بأغلفة جديدة، ولكنها اتفقت على حذف الصور، وإهمال جزء الكويت، ولعل أي منها لم يرجع أصلاً إلى الطبعات المصرية في العشرينيات، وطبعة جزء الكويت سنة ١٩٥٠م.

وقد وفّقت لأن أشتري من إحدى المكتبات المهتمة بنوادر الكتب[١] ثلاثة أجزاء من الطبعات المصرية القديمة، وهي أجزاء البصرة والمنتفق والكويت، كما حصلت من موقع المكتبة الرقمية العالمية على نسخة مصورة (PDF) من الطبعات المصرية لأجزاء البحرين والبصرة والمنتفق.

وقد رأيت أن الطبعات الحديثة أغفلت أموراً مهمة من الطبعة الأصلية كما أسلفت، فقررت أن أقدم للقارئ هذه الدراسة التي تطلع القارئ على قراءة مجتهدة في سيرة هذا العالم المتميز الذي ولد ونشأ في مكة المكرمة حتى بلغ الثلاثين من عمره، وعاش النصف الأخير من حياته في البصرة، وتنقل بين عواصم الخليج العربي، وكان عالماً متميزاً في علوم شتى، خاصة في العلوم الشرعية، والفلكية، واللغوية، والتاريخية، وحرصت على تسليط الضوء عليه، وعلى والده الذي كان عالماً فذاً في علوم الدين، والفلك، وهندسة الري، وترك كلاهما (الأب والابن) آثاراً علمية، ومؤلفات معتبرة في عدد من أبواب المعرفة.

كما قدمت في هذا الكتاب دراسة عن (التحفة النبهانية) ككتاب له أهميته في تاريخ المنطقة مستعرضاً أجزاءه المطبوعة والمخطوطة، ومتطرقاً لموضوعات تختص بهذا الكتاب من حيث الأسلوب والمنهج والمراجع والطبعات.

ولكي تتم الفائدة وضعت في ذيل الكتاب ثلاثة ملاحق لها أهميتها، فاختصرت في الملحق الأول الجزء الخاص بالكويت الذي استبعدته الطبعات الحديثة، ولكنني حذفت منه الاستطرادات التي أقحمها النبهاني على هذا الجزء دون علاقة لصيقة لها بالموضوع، ولم أضع في هذا المختصر إلا ما يتعلق بالكويت، ولم أحذف من ذلك شيئاً ذا بال، محتفظاً بعبارة المؤلف، ولم أغير فيها إلا في أضيق الحدود لأسباب نحوية أو إملائية، وهي قليلة لأن المؤلف كان عالماً سليم اللغة متقن العبارة.

وفي الملحق الثاني اخترت بعض النصوص من الأجزاء الثلاثة الأخرى، وهي نصوص طريفة، ومهمة، ولم أتوسع في اختياراتي لأن هذه الأجزاء مطبوعة طبعات حديثة، ومتداولة بين القراء،

(١) مكتبة الكتاب المستعمل في مدينة الرياض.

بينما وضعت في الملحق الثالث كافة الصور الفوتوغرافية التي حرص النبهاني على تزيين كتابه بها، بينما حرمت الطبعات الحديثة قراء التحفة منها دون سبب واضح.

هذا، وأرجو أن يحوز هذا العمل على رضى القارئ، وأن يتمكن من إطلاعه على طبيعة سفر تاريخي مهم كان بحق كتاباً: جمَّ الفائدة... قليل الحظ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

إبراهيم

الكويت، يوم السبت: الثالث من رمضان ١٤٣٦هـ/ ٢٠ يونيو ٢٠١٥م

الفصل الأول: النبهاني.. المُؤَلِّف

نبدأ بالتعرف عن قرب على سيرة المؤرخ محمد بن خليفة النبهاني، فنتعرف على شخصيته، ونسبه، وسيرة أسرته، وخاصة والده العالم العامل خليفة بن حمد النبهاني، إضافة إلى التطرق لتنقلات الابن في البلاد، حتى حط عصا الترحال في البصرة، مستعرضاً مؤلفاته المتعددة، وحوادث من حياته المثيرة.

ومؤرخنا النبهاني كما عرّف نفسه على طرة كتابه (التحفة النبهانية) الذي طبعه بإشرافه وعلى نفقته بأنه: (فريد عصره، ونادرة أوانه، العالم الفاضل الشيخ محمد بن العلامة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني[١] الطائي، ثم المكي المالكي[٢]، المدرسيْن بالمسجد الحرام[٣]، كان الله لهما عوناً ومعيناً).[٤]

وهذا الإطراء على المؤلف كان من الأمور المعتادة في كتب ذلك الزمان، وفي الغالب يكون من تصرفات المشرف على الطباعة لزيادة تسويق الكتاب، وإعطاء القارئ الثقة في محتواه.

* * *

نسبه:

أما نسب محمد النبهاني، فقد صرح في جزء البحرين، وأغلفة كتابه بأنه من آل نبهان، ثم الطائي نسباً.[٥]

(١) نقرأ على غلاف الطبعة البغدادية من التحفة سنة ١٣٣٢هـ عبارة: (يطلب هذا التاريخ من محمد الخليفة النبهان)، وذكر المؤلف لاسم عائلته دون ياء النسبة موافق لاسم العائلة في البحرين والكويت، ويبدو أنه أضاف الياء لاحقاً لتتوافق مع قواعد النسب في اللغة العربية.

(٢) في مقدمة جزء الكويت زاد النبهاني على مذهبه المالكي أنه الأشعري عقيدة، والبصري مسكناً. محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٤.

(٣) يشير المؤرخ محمد النبهاني بهذه الجملة إلى أنه كان وأبوه يدرسان في حلقات التدريس بالمسجد الحرام، ورغم أنه في وقت طباعة الكتب كان قد ترك مكة المكرمة، واستقر في البصرة، إلا أنه احتفظ لنفسه بهذا اللقب، بينما استمر والده في التدريس بمكة المكرمة حتى وفاته ودفنه في أم القرى.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١.

(٥) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١.

وذكر أنهم منسوبون لنبهان[١] بن عمرو بن الغوث بن طيء[٢]، وأن بني نبهان تفرقوا بعد الفتوحات الإسلامية من ديارهم حول حائل وجبلي طيء بين نواحي اليمامة، وبرَّ قطر، وعمان[٣]، وكان جدود المؤرخ ممن نزلوا برَّ قطر في حدود القرن العاشر الهجري قرب الزبارة[٤]، ومكثوا هناك زمناً طويلاً، ثم انتقلوا إلى جزيرة أوال[٥]، ثم عادوا لقطر بعد استيلاء الفرس على أوال، وسكنوا الزبارة.

ولما استولى آل خليفة سنة ١١٩٧هـ (١٧٨٣م) على البحرين عاد آل نبهان، واستوطنوا جزيرة البحرين.

وعندما حدثت الفتنة بين آل خليفة بين عامي (١٢٥٨ - ١٢٨٦هـ) انقسم بنو نبهان بين الحزبين المتصارعين: (آل عبد الله، وآل سلمان)، ولما تغلب الحزب الثاني فرَّ من البحرين إلى فارس غالب الحزب الأول، ولما هدأت الفتنة رجع بنو نبهان إلى الدمام مع أخوالهم (آل أبي

(١) جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٤٠٥):
(هؤلاء بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء
ولد نبهان: سعد، ونابل، ذكرهما امرؤ القيس في شعره.
فولد نابل: مالك، وغوث، بطنان؛ فمن بنى غوث بن نابل بن نبهان: زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن [عبد] رضى بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن غوث، له صحبة محمودة ونيّة في الإسلام، أثنى عليه رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- ثناء عالياً -رضى اللّه عنه- وسمّاه زيد الخير، مات -رضى اللّه عنه- بنجد منصرفه من رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- قبل أن يبلغ منزله بالجبلين؛ وبنوه؛ مكنف، وعروة، وحنظلة، وحريث بنو زيد الخير؛ وحريث هذا هو الذي قتل أبا سفيان الفهرىّ، رجلاً كان عمر أمير المؤمنين -رضى اللّه عنه- بعثه يستقرى أهل البادية القرآن؛ فاستقرأ أوس بن خالد بن يزيد بن منهب بن عبد رضى؛ فلم يدر شيئاً من القرآن، فضربه فمات، فوثب حريث على أبي سفيان، فقتله ثم هرب، فلحق بأرض الروم، فمات هنالك -لعنة اللّه-.
وأما عروة بن زيد الخيل، فبعثه عمّار بن ياسر -رضى اللّه عنه- بأمر عمر-رضى اللّه عنه وعن جميعهم- إلى قتال الري والدّيلم؛ فكانت له فيهم فتوح عظيمة؛ ثمّ وفد على عمر -رضى اللّه عنه- واستخلف مكانه أخاه حنظلة بن زيد الخيل. وكان لزيد الخيل أخ اسمه حصن بن مهلهل، من ولده كان القشعم بن ثعلبة بن عبد اللّه بن حصن بن مهلهل، وهو الذي قاتل داهر، ملك الهند، أيّام عبد الملك.
ومن بنى سعد بن نبهان: قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن عمرو بن الصامت بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان؛ وبنوه: الحسن، وحميد، وعبد اللّه، وشبيب، بنو قحطبة؛ وابن عمه لحّا: عبد الحميد بن ربعىّ بن خالد بن معدان؛ و ابناه أصرم، و حميد أبو غانم، ابنا عبد الحميد؛ ومهدىّ بن أصرم، ومحمّد بن حميد، وأبو نصر ابن حميد أخوه، الذين مدح حبيب، ورثي بالقصائد المشهورة؛ وبنو سدوس بن أصمع بن أبيّ بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نبهان، (وكلّ سدوس في العرب بفتح السين، إلا هذا وحده، فهو سدوس بالضم في السين الأولى).
ودار طيء بالأندلس: بسطة، و تاجلة، وغليار.
مضت طيء، وهم بنو جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ). انتهى.

(٢) هذا انتساب لجد جاهلي قديم، ولكن ما زال لاسمه حضور في عدد من القبائل والعشائر والأسر في منطقة الخليج، وبقية البلاد العربية.

(٣) في سلطنة عمان أكبر تواجد لاسم (النبهاني) في وقتنا الحاضر، وفي عمان قبيلتين بهذا الاسم، الأولى من الأزد، وقد حكموا عمان من (٥٤٩ إلى ١٠٣٤هـ)، والثانية من طيء، وهي التي نعنيها هنا، ويسكنون سمائل ووادي بوشر.

(٤) الزبارة مدينة قديمة شمال غربي قطر، وهي الآن أطلال غير مسكونة، ومنها انتقل العتوب حينما فتحوا البحرين بقيادة آل خليفة.

(٥) أوال: هو الاسم العربي الذي عرفت به جزيرة البحرين في العصور الإسلامية الأولى.

كوارة)[١]، وتبادلوا الصلح مع آل سلمان، ولما تمّ، رجع جميع آل نبهان إلى جزيرة البحرين.[٢]

* * *

والده:

وصفه ابنه في مقدمة جزء البحرين أنه العلامة الفاضل الشيخ[٣]، وهو بلا شك مستحق لهذا الوصف، فقد كان خليفة بن حمد النبهاني إماماً للمحراب المالكي في المسجد الحرام بمكة المكرمة[٤]، ومدرساً في الحرم الشريف.

وذكر ابنه المؤرخ محمد أن أباه من مواليد سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م)، وأرسل الجد حمد بن موسى النبهاني ابنه خليفة ذي الـ ١٧ سنة مع والدته إلى مكة المكرمة لطلب العلم في أواخر سنة ١٢٨٧هـ (أوائل ١٨٧١م)، وبعد بضع سنين التحق الوالد بهم، واستوطنوا مكة إلى أن توفي حمد فيها يوم ٢٤ ذي الحجة ١٢٩٩هـ (٦ نوفمبر ١٨٨٢م)، ودفن بمقبرة المعلا في القسم المسمّى بالسليمانية، وتوفيت أم خليفة هي الأخرى سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م)، ودفنت في المعلا في قسم (شعبة النور) خلف قبر عبدالله بن الزبير (رضي الله عنهما).

وظل خليفة بن حمد يطلب العلم في المسجد الحرام حتى ارتقى درجة التدريس والتأليف، وكانت له مهارة في الرمي بالبنادق، ومعرفة بالغوص على اللؤلؤ حيث مارس الغوص سابقاً في البحرين[٥]، وتزوج امرأة من آل بني حديد الشيبانيين، فرزق منها ذكوراً وإناثاً كان

(١) البو كوارة قبيلة عربية من تميم، وتعد من أكبر القبائل في دولة قطر حالياً، والنسبة إليها: الكوّاري.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٧١.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١.

(٤) كانت الصلاة في المسجد الحرام في العهد العثماني وما سبقه تقام عدة مرات، ولكل أهل مذهب محراب يصلون خلفه إلى أن تم توحيد الصلوات في العهد السعودي، فقد ذكر الشيخ حسين با سلامة في كتابه «تاريخ عمارة المسجد الحرام» أنه عندما اجتمع فريقان من العلماء في أكتوبر ١٩٢٦م (١٣٤٥هـ)، يمثل أحدهما علماء الحجاز، ويمثل الآخر علماء نجد، واتفق الجميع بعد التباحث على أن تكون صلاة الجماعة التي تقام في المسجد جماعة واحدة أيا كان مذهب الإمام، وانتخبوا من كل مذهب ثلاثة أئمة، اختاروا منهم إمامين يتناوبان في أوقات الصلوات الخمس، فكان من الحنابلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ حمد الخطيب، ومن الشافعية الشيخ عبد الرحمن الزواوي والشيخ محمد علي خوقير والشيخ عمر فعي، ومن الحنفية الشيخ عباس عبد الجبار والشيخ عبد الله بن مرداد، ومن المالكية الشيخ أمين فودة والشيخ عبد الله حمدوه والشيخ عباس مالكي.
ورفع الأمر إلى الملك عبد العزيز آل سعود، فأصدر موافقته على هذا الترتيب، وجرى العمل بموجبه، وأصبحت الجماعة واحدة في المسجد الحرام تصلي خلف إمام واحد منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

(٥) من واقع هذه المعرفة كتب النبهاني الابن فصلاً مهماً في تحفته عن الغوص على اللؤلؤ في البحرين بتفصيل لا يتقنه إلا عارف حذق، وقد وضعناه لإفادة القارئ في ثاني ملاحق هذا الكتاب.

أكبرهم مؤرخنا المؤلف محمد المولود سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م).[١]

وكان خليفة بن حمد النبهاني عالماً متواضعاً، صاحب رأي وهمَّةٍ عالية، طويل القامة، معتدل الجسم، كثيف اللحية، ذا هيبة ظاهرة، حريصاً على اقتناص شوارد العلوم وغرائبها، والإفادة والاستفادة، حتى رحل إليه النَّاس من الأقطار البعيدة لحضور دروسه في الفقه والفلك خصوصاً، والعلوم الأخرى عموماً.[٢]

وفي زمن الشريف عون الرفيق[٣] عين خليفة إماماً في محراب المالكية بالمسجد الحرام ابتداءً من غرة محرم ١٣٢٣هـ (٨ مارس ١٩٠٥م)، وظل بهذا المنصب إلى ما بعد زمن طبعة التحفة الثانية، وحاز (مرسوم التدريس) بالمسجد الحرام، كما عين مهندساً لتعمير عين زبيدة وعين الزعفرانة من سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، ثم ضمت له رئاسة تقسيم عين زبيدة في داخل مكة.

ومن غرائب ما يحكى عن خليفة أنه كان ينزل عين زبيدة من جهة، ويخرج من جهة أخرى[٤]، وكذلك أنه نزل عدَّة مرات إلى قعر ماء زمزم لعدة أسباب، ووصفها وصفًا خالف كل من سبقه من المؤرخين.

ويقول المؤرخ الأديب أحمد السباعي: «أخبرني فضيلة الشيخ خليفة النبهاني، وكان من أمهر الغواصين في مكة، علاوة على علوّ كعبه في علوم الدين والهيئة، أنه غاص في بئر زمزم حتى انتهى إلى قاعه، ثم سبح إلى مواجهة الحجر الأسود، فوجد الماء ينتهي فيما يحاذيه، وهو يعتقد أن مساحة القاع تنتهي إلى مثل هذا المدى من نواحيه الأربع».

ومن نوادره المتعلقة ببئر زمزم ما ذكره الشيخ الأديب عمر عبد الجبار، فقال: «أنه عندما مات أحد الحجاج غريقاً في بئر زمزم، فأحضر ولاة الأمر الغواصين من جدة لإخراج

(١) من إخوة مؤرخنا نعرف الشيخ أحمد بن خليفة النبهاني الذين عين رئيساً لبلدية العاصمة السعودية (الرياض) في أواخر الأربعينيات الميلادية (أواخر عهد الملك عبد العزيز آل سعود)، وقد تولى هذا المنصب حوالي العامين حتى ١٩٥٠م. راجع: موقع أمانة منطقة الرياض على شبكة الإنترنت (نبذة عن الأمانة)، ولأحمد بن خليفة مقالات أدبية في مجلة أم القرى وصوت الحجاز قبل تلك الفترة. كما عد أخوه موسى بن خليفة النبهاني من المصلحين والمجددين في العالم الإسلامي بجميع المدارس الاسلامية المختلفة.

(٢) انظر صورة الأب خليفة الفوتوغرافية التي نشرها ابنه في التحفة، وكذلك مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، العدد ٩٢٦٥ الجمعة ٢٢ أغسطس ٢٠١٤م (٢٦ شوال ١٤٣٥هـ).

(٣) هو شريف مكة عون (والرفيق لقب تكريمي له) بن محمد بن عبد المعين بن عون العبدلي الحسني. تولى حكم مكة المكرمة ٢٤ عاماً بين عامي (١٢٥٦– ١٣٢٣هـ/ ١٨٤١– ١٩٠٥م)، وهو عم الملك الحسين بن علي بن محمد صاحب الثورة العربية.

(٤) استفاد ذلك من ممارسته لمهنة الغوص في صباه بالبحرين.

الغريق، ولكنهم فشلوا، وخّيل إليهم أن البئر واسعة تمتد إلى باب السلام غرباً والكعبة شرقاً، فلما علم بذلك [النبهاني] أسرع إلى بئر زمزم، فخلع ملابسه، وربط في قدميه كرتي حديد (قلتين) مكّنتاه من النزول إلى قاع البئر، فأخرج الغريق، وأخبر الغواصين بوجود أوساخ في قاع البئر، وأرشدهم إلى الطريقة الفنية للوصول إلى قاع البئر، فغاصوا على ضوء إرشاداته، ونظفوا البئر مما فيها من دلاء.

وشرح لهم ولطلابه وصف البئر، فقال: إن عمق مائها ٤٠ ذراعاً، وارتفاعها من الأرض إلى علوّ فتحتها ٨ قامات، وعرضها من أسفلها لا يتجاوز باع الإنسان، وأن البئر تحت الأرض ينبع ماؤها من صخرة مدوَّرة منقورة نقرًا عجيبًا، وهذا الوصف يخالف روايات الأزرقي وغيره من المؤرخين من أن زمزم ينبع ماؤها من ثلاث عيون، وأن ماءها يمتد إلى الشرق والغرب والجنوب، وليس من رأى كمن قرأ وسمع».[١]

وجاء في ترجمة أخرى لخليفة النبهاني (بتصرف):

«درس الشيخ خليفة النبهاني في مكة المكرمة على يد عدد من العلماء منهم الشيخ أحمد بن عبدالله الزواوي حيث أخذ عنه النحو والفقه والتفسير، كما أخذ عن الشيخ حسين بن ابراهيم الأزهري علم التفسير والفقه، وواصل علمه ودراسته على يد الشيخ عبدالقادر مشاط علوم الفقه، وعلى يد الشيخ بكري حجي البسيوني، كما حضر الشيخ جعفر لبني الحنفي، وتلقى عنده عدة فنون، ولازم الشيخ محمد بن يوسف الخياط الفكر المكي، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمن دهان الحنفي الحديث وعلمي الفلك والميقات، ودرس العلوم الرياضية عن الشيخ محمود بن نار البغدادي النقشبندي.

وقام النبهاني بزيارة المدينة المنورة عدة مرات، وأخذ عن علمائها الأجلاء في أروقة الحرم النبوي الشريف، فأخذ عن الشيخ المسند فالح بن محمد الظاهري المسلسلات التي تضمنها ثبته الصغير المسمّى «حسن الوفا لإخوان الصفا»، وحضر كذلك ختم «صحيح مسلم» عند العلامة الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي، وقرأ «الأوائل العجلونية» على الشيخ محمد رضوان المدني، ولخليفة النبهاني شيوخ آخرون بالمدينة المنورة.

واشتغل خليفة النبهاني بالتدريس في المسجد الحرام، وتحت أروقته، وعيّن مهندساً لتعمير عين زبيدة وعين الزعفرانة بمكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ، ثم عُيّن على عين زبيدة داخل

(١) مقالة بعنوان «عالم من البحرين» بجريدة الأيام، سبق ذكرها.

مكة المكرمة، فعرف بالقسَّام، وأسندت إليه رئاسة التوقيت بمكة المكرمة، وما حولها، وكانت له حلقة يعقدها بمنزله في المسفلة، فكان يأخذ تلاميذه، ويصعد بهم جبل أبي قبيس لتعليمهم الفلك والميقات.

وكان للشيخ خليفة النبهاني مجموعة كبيرة من التلاميذ من مختلف الطبقات يصعب حصرهم، ولكن جميع من درسوا على يديه أصبحوا أعلاماً زيّنت بهم أروقة المسجد الحرام، وأصبحوا مشاعل علم ديني ودنيوي، ومن تلاميذه العلامة الفاضل الشيخ حسن بن محمد المشّاط المتوفى عام ١٣٩٩هـ، والعلامة الفاضل الشيخ علوي عباس المالكي والد الدكتور محمد علوي المالكي، ومن تلاميذه أيضاً الشيخ عبد الرحمن كريم بخش الهندي المكي، والشيخ محمد صالح بن إدريس كلنتن، والعلامة الشيخ أحمد بن عبدالله صدقة دحلان، ومن تلاميذه العالم الفاضل محسن بن علي الحساوي، والشيخ عبدالله ناضر المكي، والعالم زين بن عبدالله الباوياتي المكي، وغيرهم كثيرون.[١]

وكان خليفة النبهاني عالماً متواضعاً، ذا همة عالية، ورأى مصيب، وكان حريصاً على اقتناص الفوائد، وإفادة طلبته كل الحرص، وكان يحب التوسع في الرواية، وكانت له مهارة تامة في الفقه المالكي، وعلم الفلك والميقات، فرحل إليه الناس من كثير من الأقطار البعيدة، فحضروا دروسه في الفقه والفلك، وكثير من العلوم الأخرى.

ولخليفة النبهاني أبناء أفاضل منهم العلامة محمد بن خليفة القاضي بالبصرة، ومن أبنائه الشيخ أحمد بن خليفة، والشيخ موسى بن خليفة، وجميع أبنائه من زوجته التي تنتسب إلى آل حديد الشيابين.

وبعد حياة حافلة بالنفع والإفادة والعبادة والتجوال في كثير من بلدان العالم الاسلامي، والتدريس في المسجد الحرام تحت أروقته، توفي العلامة خليفة بن حمد النبهاني المكي الفقيه يوم الخميس أول أيام شهر ذي القعدة ١٣٥٥هـ (١٣ يناير ١٩٣٧م)، وشيّعت جنازته في جمع حافل بالعلماء والطلاب الذين استفادوا من علمه، وانتفعوا به، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة».[٢]

وفي أثناء اشتغاله بهندسة تعمير العيون ألف الشيخ خليفة النبهاني والد مؤرخنا عدة

(١) من تلاميذ خليفة النبهاني الشاعر المعروف علي أحمد باكثير حيث درس عليه علم الفرائض، ومن تلاميذه أيضاً القاضي البحريني الشيخ عبد اللطيف آل محمود، وابنه القاضي محمد بن عبد اللطيف اللذين درسا على خليفة النبهاني في مكة المكرمة.

(٢) مقالة بعنوان (عالم من مكة) في صحيفة الندوة.

مؤلفات[١] جلّها في فن الهيئة[٢] (الفلك) وعلم الميقات منها:

١- الوسيلة المرعية في معرفة الأوقات الشرعية، وهو كتاب في فن الميقات بالعمل بالربع المجيب، وبالحساب الستيني[٣]، وطبع في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م).[٤]

وقد امتدح هذا الكتاب أحد تلاميذ خليفة النبهاني في علم الفلك، وهو الفقيه النحوي والفرضي بالبحرين الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعي بأبيات أنهاها بتأريخ تأليف الكتاب سنة ١٣٢٦هـ، وهي:

إلى مَ تُجيل الفكر في وصل ميَّةِ ... وتـنـدبُ آرامـاً حـسـانـاً بهمةِ
وتلهو بسعدى والـربـاب وزينبٍ ... وعن حاصلات الربع في جُنح غفلةِ
فدع ذكر سعدى والـربـاب، كليهما ... وشمِّر لضبط الربع من ذي الوسيلةِ
رسـالـة حـسـنٍ بُـرّزت في فنونه ... وشـاهـدهـا إيضاحها في الـعـبـارةِ
بها اتّضحت أوقـات عمدة ديننا ... ودلّـت عـلى سَـمـتٍ هـدانـا لقبلةِ
ولمْ لا، ومنشيها يتيمة عـصره ... سـلالـةُ نـبـهـانٍ سُـمـي بخليفةِ
خليفةُ خـيرٍ مـا لـه مـن مـماثـلٍ ... لقد سـهّـل الـفـنّ العسير بفكرةِ
وعند انتهى تكميلها قلتُ مؤرخاً: ... قواعد طرق الربع منشا الوسيلةِ[٥]

٢- ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة في العمل بالربع المجيب[٦]. طبع ضمن مجموع

(١) ذكر النبهاني الابن في تحفته (طبعة العشرينيات) أن كتبه وكتب أبيه تطلب منه في البصرة، أو من أبيه في مكة المشرفة، أو من الشيخ عبد العزيز بن عيسى الجامع بجزيرة المحرق بالبحرين، ومن مسقط من الحاج الماس تابع السيد يوسف الزواوي، ومن الكويت من الحاج حمد بن عبد المحسن الصالح وأولاده، ومن دبي من يوسف وخالد المهيدب، ومن الموصل من الخواجة نعوم عبد الكريم عبيدة، ومن بغداد من الخواجة عزير بن بطرس النعمان، ومن أورفه (كرموش) من محمود رفيق بيك بن علي كاظم بيك. راجع: محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٩٠.

(٢) فن الهيئة هو الاسم العربي للقديم لعلم الفلك.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٤.

(٤) مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، سبق ذكرها.

(٥) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٣٨.

(٦) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٥، ومنه نسخة في خزانة الأزهر.

فيه شرح الشيلي، وشرح رسالة المارديني، ورفع الحجاب لإبراهيم التادلي الرباطي، وذلك في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٢٩هـ[١] (١٩١١م)، وهو الكتاب الذي مدحه الحاج أحمد حمدي بن ملا حسين البصري بقوله:

هُـوَ العلم، كم في الناس تعلو به ... هـو المـجـد إلا أن إدراكـــه صعبُ
ولا يـدرك الآمـال مـن لم يكن لها ... صبوراً ولم يعيَ ولو صادف العطبُ
وهــل تحسبنَّ المـجـد تمــراً تلوكهُ ... وهل تملك البلدان إن لم يكن حربُ
فكافح جهالات الهوى تحظَ بالذي ... تـرومُ من العليا، وما ذا لكم لعبُ
لعلّك قـد تُمــسي، وأنــت مـقـاربٌ ... خليفة النبهان في بعض ما تصبو
ففخر بني طـيٍّ لنبهان في الـورى ... وفخر بني النبهان: هذا الفتى الرحبُ
فـذاك الــذي حـاز المـعـالي بأسرها ... بجدٍّ، ولم يك ممن يعمله النشبُ
فقد هجر البحرين مسقط رأسه ... وآثــر بيت الــلــه، فهو لـه حسبُ
فصار لـه الـبـاع الطويل بأكثر الـ ... فنون وفي طول المـدى لم تزل تربو
فـيـومـاً فقيهاً قـد تــراه، وآخــراً ... يعاني حساب النجم والشمس منكبٌّ
وطــوراً تـراه في الصحاري مهندساً ... فيجري عيوناً في عيون لتنصبُّ
وأخـرى ترى في الشعر تطرد خيلهُ ... فتكبو جـيـاد الـعـالمـين ومـا تكبو
وأمـــا ســجـايـاه، فــأكــرم بمثلها ... وليس له مثلٌ، إذا عظم الخطبُ
فـقـلَّ لــه شِــبــهٌ، وقـــلَّ مـماثـلٌ ... وهل أعظم الأعـمال إلا له تصبو[٢]

٣- منظومة منازل القمر، وأصلها من منظومة المنازل للشَّيخ محمَّد المقرِّي، وقد طبعت عن دار البشائر الإسلامية سنة ٢٠١٣م بتحقيق محمد رفيق الحسيني.

٤- مختصر أقرب (أو تقريب) الوسائط في رسم البسائط[٣]، وقد اختصر فيها رسالة

(١) مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، سبق ذكرها.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٧٢.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٥.

الشَّيخ عبدالغني محمود، وطبع في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م).[١]

٥- الجدول المئيني الكبير (نظير الستينية) لتسهيل العمل في الأزياج.[٢]

٦- التقديرات النفيسة في بيان البسيطة والكبيسة.

٧- جداول الدائرة المغناطيسية لمعرفة القبلة الإسلامية[٣]، وقد اختصره من رسالة المعلِّم الشَّاذلي.[٤]

٨- جدول الجيب والظِّلِّ المنكوس الستيني والظِّلِّ المبسوط الاثني عشري والسهم. طبع في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)

٩- جدول النسبة السِّتِّينِيَّة للأعمال الفلكية: طبع في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)

١٠- رسالة في معرفة استخراج الأوقات من الستينية: طبع في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م).[٥]

وذكر ابنه المؤرخ رحلاته من سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) إلى ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) بين أفريقيا وآسيا الكبرى وجزائر هولندا (إندونيسيا)، ففي سنة ١٣٠١هـ وصل إلى البصرة والبحرين، وفي سنة ١٣٠٥هـ وصل إلى جزائر جاوا (سنغافورة إلى فلفلان وسرباياوما، وما ولاهم)، وفي سنة ١٣١٣هـ وصل إلى مسقط والبصرة والبحرين، وفي سنة ١٣١٥هـ وصل إلى عدن ثم زنجبار ودار السلام ولامو بأفريقيا، وفي سنة ١٣١٧هـ وصل إلى البصرة والكويت والبحرين، وفي سنة ١٣٢٠هـ وصل البصرة والبحرين.[٦]

وأورد له ابنه في جزء الكويت أبياتاً من شعره هي:

(١) مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، سبق ذكرها.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٧٤.

(٣) ورد هذان الكتابان في مقالة جريدة الندوة السعودية، ولم يوردهما ابنه المؤرخ.

(٤) مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، سبق ذكرها.

(٥) وردت الجداول الثلاثة الأخيرة في مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، سبق ذكرها.

(٦) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٧٤.

هّـلـمّ أخـي أُقـاسـمـك اعـتـبـاري ... فقد واســاك مَـن قسم اعتباره
بـلـوتُ مـكـاسـب الـدنـيـا جميعاً ... فـــإنَّ الـعـلـم أربـحـهـا تـجـارة
إذا مـا الـلـه آتى الـعـبـد عـلـماً ... فـقـد أعــطــاه جـنـتـه ونـــاره
فـقـال اخــتر، فـأنـتَ لــذاك أهـلٌ ... إلى أن صــار كــلٌّ واخـتـيـاره[1]

* * *

مولد المؤرخ محمد بن خليفة النبهاني، ونشأته:

نص مؤرخنا محمد بن خليفة النبهاني في مقدمة جزء البحرين من تحفته أنه «المكي مولداً ومنشأ»، وذكر أن مولده كان بمكة المكرمة سنة ١٣٠١هـ (أي سنة ١٨٨٤م)، وهو أكبر أبناء أبيه، وأن أمه من آل بني حديد الشيبانيين، وله إخوة أصغر منه ذكور وإناث.

وتلقى مؤرخنا تعليمه عن والده، وعن عدد من علماء الحرم المكي، ثم التحق بالمدرسة الصولتية[2]، وتخرج منها، وواصل دراسته بعد ذلك بالمسجد الحرام على بعض علماء الحرم كالشيخ عبدالرحمن بن أحمد دهان، والشيخ محمد يوسف خياط. ثم عمل مدرسًا في الحرم المكي حيث انعقدت له حلقة درس كان يؤمها العديد من الطلبة والدارسين.[3]

وعندما نعلم أن مؤرخنا محمد النبهاني قدم البحرين في أواخر سنة ١٩١٣م أو أوائل السنة اللاحقة، وتنقلت به الظروف بعد ذلك حتى استقر في البصرة حيث توفي، نستنتج أنه عاش في مكة المكرمة العقود الثلاثة الأولى من حياته، ويبدو أنه كان يقيم في محلة الشامية بمكة كما ظهر على غلاف الطبعة الأولى من كتابه التاريخي، والشامية حارة محاذية للحرم يذهب البعض إلى أن سبب التسمية يعود لموقعها الشمالي (اتجاه الشام)، وآخرون يميلون إلى أنه نسبة إلى الشوام بائعي الأقمشة في سوق سويقة التاريخي.[4]

---

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢٢٤.

(٢) المدرسة الصولتية أسسها بمكة المكرمة الشيخ محمد رحمة الله سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م)، وهي تعد من أقدم المدارس النظامية في الحجاز، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى امرأة ثرية من مسلمي الهند اسمها (صولت النساء) تبرعت بمبلغ كبير لتشييدها، وقد تطورت بمرور السنين، وما تزال تقوم برسالتها العلمية إلى يومنا هذا.

(٣) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

(٤) موسوعة ويكيديا على شبكة الإنترنت، وقد درست آثار هذه المحلة في التوسعة الحالية للحرم المكي (سنة ٢٠١٥م).

وفي مكة المكرمة استكمل النبهاني طلب علومه الشرعية والفلكية، وغيرها، ومارس التدريس في الحرم المكي شاباً، وبالتالي فإنه بارح مكة وهو في سن النضج، وكانت له رحلات إلى البصرة ومدن الخليج قبل ذلك مرافقاً لأبيه، ولا يستبعد أنه قد تزوج قبل مغادرته الأخيرة لمكة، ورزق بذرية، ولكنه لا يتطرق لهذا الموضوع البتة في كتابه، وإن نشر في تحفته (جزء البحرين) صورة لشاب دون العشرين اسمه جاسم بن محمد النبهاني، ووصفه بأنه الحاجب الثاني للشيخ محمد نجل حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة[١]، ولعله أكبر أولاد مؤرخنا، فكنية أبي جاسم أو قاسم من الكنى المرادفة لمن اسمه (محمد).

* * *

ارتحاله إلى البحرين والبصرة:

أشار مؤرخنا النبهاني في تحفته إلى أن أصول أسرته ترجع إلى جزيرة البحرين، وأن قدوم أبيه كان منها إلى مكة المكرمة، ولعشيرته علاقة وثيقة بحكامها، وبالتالي فلا نستغرب أنه أول ما استكمل نضجه العلمي قرر أن يزور ديار آبائه، ويتقرب من حكامها، ويضع لبلادهم كتاباً في التاريخ، فيذكر أنه زار البحرين (جزيرة أوال) في غرة ١٣٣٢هـ (أواخر ١٩١٣م)، وامتزج بحكامها آل خليفة.[٢]

وهناك، كعادة المؤرخين من أبناء عصره، فقد عزا النبهاني إقدامه على التأليف لتاريخه إلى (طلب بعض فضلائهم)[٣]، ولعله يعني حكام البحرين بأن يجعل تاريخاً يحتوي على ذكر حكام البلاد الحاليين وملوكها الأقدمين، ومن استولى عليها في تقادم السنين، ويحليه بنبذة من تاريخ أمراء جزيرة العرب كآل رشيد وآل سعود وآل صباح، ومن ضاهاهم.

ويذكر أنه أجاب الطلب بعد التكرار والالتماس، وسمى كتابه (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة)، وتم تبييضه في ١٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ (٨ فبراير ١٩١٤م)، وتوجه به للعراق لطباعته.[٤]

---

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٧.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٣.

(٣) طلب بعض الفضلاء لتأليف الكتب حجة رائجة في عالم الكتاب العربي، وقد مرت عليّ عشرات بل ومئات الكتب التي تورد هذه الحجة، وبعضها حقيقي وموثق، وبعضها يلجأ لها المؤلفون لتبرير إقدامه على هذا التأليف نأياً بنفسه عن تهمة التملق والتكسب من التأليف.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٣.

ولم تكن تلك زيارته الأولى للعراق، فقد سبق له زيارة البصرة، وله فيها أصدقاء على صلة بالمطابع، فمن الصورة التي نشرها في كتابه التحفة نجد إحداها تجمع النبهاني بأحمد جودت بك صاحب جريدة المنبر البصرية، وذكر أنها التقطت في البصرة سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، مما يجعلنا نعتقد أنه كان في البصرة قبل قدومه إلى البحرين.

ويبدو أنه علاقة مؤرخنا النبهاني بالبصرة أقدم من ذلك، فقد تحدث في جزء البصرة من تحفته عن زيارة قام بها ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) برفقة أبيه لقضاء أبي الخصيب التابع للبصرة، ونزلوا وقتئذ ضيوفاً على الحاج محمد بن رجب المير، فأكرمهم غاية الإكرام، وللمير ديوانية عامرة يقصدها غالب أهل البصرة إذا ذهبوا إلى أبي الخصيب[١]، ووجود مؤرخنا في البصرة وهو دون سن البلوغ دليل على قدم علاقة أبيه بالبصرة وأهلها، مما رغّبه في نهاية الأمر لاتخاذها سكناً حتى وفاته رغم أن علاقته بشيوخ البحرين كانت تؤهله للإقامة فيها معززاً مكرماً.

المهم أن النبهاني توجه إلى العراق لطباعة نبذته اللطيفة، ورست باخرته في ميناء البصرة في أواخر شعبان (يوليو ١٩١٤م)، ثم ركب الباخرة النهرية (حميدية) التي رست في بغداد يوم ٢ رمضان (٢٥ يوليو ١٩١٤م).

وفي هذه الأثناء التقى النبهاني بصديقه الأديب أحمد جودت بك بن علي كاظم بك الموصلي صاحب جريدة المنبر البصرية[٢]، والذي اقترح عليه ان يجعل تاريخه عاماً لجزيرة العرب، ويزينه بصور الحكام، فاقتنع النبهاني بذلك، وغيّر مسمّى كتابه إلى (التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية)، ولضيق الوقت عجّل بطباعة الجزء المختص بالبحرين في مطبعة الآداب ببغداد مؤرخة بسنة ١٣٣٢هـ كما وضح على غلافها.

ونوه النبهاني في مقدمة الطبعة الأولى (التي أعاد نشرها في الطبعة الثانية) إلى استفادته من سجلات دار الإمارة المخزونة في دار الأسفار، بالإضافة إلى استفادته من إرشادات ومرويات الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، والتاجر عبدالله بن سعد بن شملان.

وقد وصلت هذه الطبعة إلى البحرين، ويبدو أنها حازت على رضى حكامها والدوائر السياسية فيها، حتى أنها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية على يد رئيس الشرطة في البحرين سابقاً السيد حسن صديق بأمر من الحكومة البريطانية، والتي أعطت المترجم مكافأة عظيمة

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٣٤.

(٢) المنبر: جريدة أسبوعية باللغة العربية صدرت في ١٢ أكتوبر ١٩١١م لصاحبها أحمد جودت كاظم. راجع: كتاب البصرة الموسوعي لعبد المجيد الغزالي، ص٢٠٣.

مقابل ذلك.[١]

* * *

أسرُه:

ولما شبت نار الحرب العالمية الأولى رجع النبهاني من بغداد إلى البصرة ناوياً العودة إلى البحرين، ولكن إغلاق مدخل الخليج بأمر الحكومة العثمانية في ١ ذي الحجة (٢١ أكتوبر ١٩١٤م) بسبب ترقب الهجوم البريطاني على الفاو[٢] اضطره للبقاء في البصرة حتى سقطت المدينة بيد الانكليز في غرة محرم ١٣٣٣هـ (١٩ نوفمبر ١٩١٤م)، وفي ٢٧ ربيع الثاني (١٤ مارس ١٩١٥م) أخذه الإنكليز أسيراً، وسلبت منه جميع كتبه ومؤلفاته، ومن ضمنها مسودة تاريخه.

ولم يتطرق النبهاني لأسباب اعتقاله هذا، ولكن يبدو أنه ساهم في جهود العلماء لتحشيد المجاهدين لمقاومة الهجوم البريطاني خاصة وأنه كان على علاقة طيبة فيما يبدو بالمسؤولين العثمانيين، وبالشيخ عجمي باشا السعدون شيخ المنتفق قائد المقاومة العشائرية للهجوم، ولا يفوتنا الربط بين اعتقاله والتحشيد الذي كان يجري للاستعداد لمعركة الشعيبة التي وقعت شمالي البصرة بعد أقل من شهر من اعتقال النبهاني.

ولما بلغ حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ما جرت على النبهاني من مضايقات تذاكر مع رئيس الخليج[٣] في شأنه، فتم إطلاق سراحه في جمادى الأول ١٣٣٤هـ (مارس ١٩١٦م) بعد ثلاثة عشر شهراً قضاها في الأسر، ولكنه ظل في البصرة مطلق السراح تحت المراقبة حتى سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) حيث نال حريته الكاملة.

ولطلب أصحابه (مرة أخرى) عاد النبهاني بعد الأسر لجمع مادة كتابه التاريخي بهمة دون الهمة الأولى، حتى تمكن من تقديم الطبعة الثانية، وذكر أنه رتب التحفة هذه المرة على غير النسق الأول مع زيادات مفيدة ورسوم عديدة، وكتب أنه عجل بطباعتها حفظاً لها من عوارض الزمان حيث أن المبيضة الأولى سُلبت منه يوم أسر، ووعد بطباعتها طبعة ثالثة مزينة برسوم أعيان البلدة.

---

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٥.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٣٦.

(٣) رئيس الخليج لقب للمقيم البريطاني في بوشهر، وكان وقتئذ هو السياسي المعروف برسي كوكس، وتولى هذا المنصب بين عامي (١٩٠٤- ١٩٢٠م).

* * *

استقراره في البصرة:

يبدو أن مؤرخنا محمد بن خليفة النبهاني بعد خروجه من الأسر استطاب العيش في البصرة خاصة وأن شهرته كمدرس سابق في الحرم المكي، وعالم في الفلك والمواقيت والتاريخ مكنته من افتتاح مدرسة تحمل اسم (المدرسة العلمية النبهانية)[١] حيث نشر في جزء البصرة صورة جماعية لطلبة مدرسته، وهم في أعمار متفاوتة، ففيهم صبية وشباب ورجال ملتحون تعود إلى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢/ ١٩٢٣م)، وذكر في شرح الصورة أنهم يحملون بأيديهم مكافآت على نجاحهم.[٢]

وذلك إضافة إلى عمله كمدرس خاص لبعض أبناء الوجهاء، فيذكر الفلكي الكويتي المعروف صالح العجيري أنه درس على يد النبهاني في ديوانية الإبراهيم، وأن النبهاني كان وقتئذ المعلم الوكيل الوحيد لعقارات وبساتين الكويتيين في البصرة، وعندما جاء إلى الكويت[٣] سكن عند عبد اللطيف سعد الشملان ليكتب تاريخ الكويت، وأخيراً حصل خلاف مع العراق، وأعلن اغلاق الحدود، فبقي النبهاني في الكويت، وكان هذا من حسن حظ العجيري - على حد قوله - حتى يكمل دراسته عند النبهاني.[٤]

وكان النبهاني قد عمل أيضاً مدرساً في ثانوية البصرة، فيذكر بدر خالد البدر من أعيان الكويت الذي درس في تلك المدرسة في العام الدراسي ١٩٢٧/ ١٩٢٨م: «كان عندنا الشيخ محمد النبهاني مؤلف كتاب تاريخ البحرين، وكان يدرسنا اللغة العربية والدين، وهو حجازي الجنسية، وكان يلبس الزي الحجازي المعروف لرجال الدين».[٥]

وتُطلعنا المراجع على نشاط تجاري مرتبط بالكتب قام به النبهاني في وقت مبكر، فعندما زار البحرين سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣م)، ورأى مكتبة الشيخ عبد العزيز الجامع البسيطة

(١) من مدرسيها الشيخ أحمد الحسّان مفتي السادة الشافعية في منطقة حمدان القريبة من البصرة جد أسرة الحسان المعروفة في البصرة. راجع: موسوعة شهداء الدعوة والحركة الإسلامية في العراق على شبكة الإنترنت.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٥٧.

(٣) يبدو أن العجيري يتحدث هنا عن زيارة النبهاني للكويت سنة ١٩٤٨م التي عاد منها إلى البصرة على متن طائرة ربما بسبب إغلاق الحدود، وكانت هناك توترات عشائرية على الحدود بين الكويت والعراق في ذلك العام أعقبت بعض حوادث التهريب.

(٤) مقابلة مع صالح العجيري في جريدة القبس الكويتية نشرت في ٢٧ إبريل ٢٠٠٦م.

(٥) بدر البدر، رحلتي مع قافلة الحياة، ج١.

المتواضعة في المحرق دار بينهما حديث طويل شرح له الأخير فيه معاناته في إحضار الكتب والمصنفات، وما جرى له من صعوبات ومعوقات، فأخبره الشيخ النبهاني بأنه راحل إلى مدينة البصرة بالعراق، وأن له بها عدداً كبيراً من المعارف وطلاب العلم، وأنهم سيساعدونه لتوريد الكتب والمصنفات إليه بالبحرين، ففرح الشيخ عبد العزيز الجامع بكلام النبهاني، واتفقا على ذلك، وفعلاً بدأ النبهاني يبعث بالكتب من مدينة البصرة إلى البحرين، ويقوم الشيخ عبد العزيز ببيعها في مكتبته بالمحرق.[١]

ويبدو أن النبهاني ظل مقيماً في البصرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من حياته يدرّس ويصنّف، ولم تنقطع زيارته إلى عواصم الخليج التي كان على علاقة طيبة بأعيانها.

فذكر أنه زار البحرين للمرة الخامسة يوم الخميس ٢٠ محرم ١٣٤٠هـ (٢٣ سبتمبر ١٩٢١م)، ونزل ضيفاً على حاكمها الشيخ عيسى بن علي في قصر المقيظ، فأكرمه غاية الإكرام، وأمر بإقامة لوازمه، وأنعم عليه هو وأنجاله بأوفر الانعامات.

ووصف مرافقته بعد ذلك للشيخ محمد بن عيسى، والأعطيات التي حصل عليها منه، وخصص الشيخ محمد للنبهاني مجلساً خاصاً يقابل فيه أقرانه من العلماء والأصدقاء.[٢]

كما قام مؤرخنا محمد النبهاني في أواخر عمره بزيارة للكويت في ١٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (١ إبريل ١٩٤٧م)، وبعدها بثلاثة أعوام نشر الجزء الخاص بالكويت، وخلال زيارته للكويت حظي باستقبال لائق من بعض شيوخ الكويت كالشيخ عبد الله المبارك، والشيخ عبد الله الجابر، والشيخ فهد السالم.

وفي ذلك الجزء يذكر النبهاني أنه زار الكويت قبل ذلك زيارة واحدة بعد سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) بعدة سنوات[٣]. كما يبدو أنه زار الكويت سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، وعاد إلى البصرة على متن طائرة، وقطع المسافة بين البلدين في ٤٥ دقيقة.[٤]

وكان النبهاني يقوم برحلات أخرى، فيشير إشارة غامضة إلى ممارسته التدريس في مسقط، ويحدثنا عن رحلاته إلى بغداد التي دخلها في ٢ رمضان ١٣٣٢هـ (٢٥ يوليو ١٩١٤م)

(١) مدونة بشار الحادي، مقالة بعنوان «أقدم مكتبة تجارية معروفة في تاريخ مدينة المحرق».

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٥٦.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٧٦.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢٠٧.

لطباعة تحفته، وكذلك في ٩ صفر ١٣٤٣هـ (٩ سبتمبر ١٩٢٤م)، ووصف مشاهداته في آخر جزء البصرة، وذكر في موقع آخر أنه دخل مدينة العمارة في رحلتيه تلك، فأثنى على أسواقها وشارعها المستطيل على حافة النهر.

وقد وصف الرحلة الثانية وصفاً مفصلاً يجده القارئ في الملحق الخاص بالمختارات من التحفة.

وأخبر في مقدمة جزء المنتفق عن نيته للقيام برحلة للجزيرة العربية وخاصة أواسطها كي يزيد معلوماته عن هاتيك البقاع، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى منعه من ذلك، فأوقف تيار همته، وتراجع عزمه عن ذلك مكتفياً بما سطره آنفاً.[١]

وخلال إقامته في البصرة، فمن الواضح أن مؤرخنا النبهاني كان فيها رب أسرة[٢]، ويبدو أنه له أولاد وبنات، فيحدثنا المؤرخ البحريني بشار الحادي في ترجمته للشيخ عبد العزيز الجامع أنه في إحدى السنوات، وفي مكة المكرمة التقت السيدة مريم بنت عبد الله بن الشيخ عبد العزيز الجامع ببعض النسوة، وهن بنات الشيخ محمد بن خليفة النبهاني صاحب كتاب (التحفة النبهانية)، وقد تحدثن معها قليلاً، وعندما عرفن أنها من بيت الجامع قلن لها: نحن نذكر أن والدنا كان يتعامل مع طالب علم في البحرين يقال له الشيخ عبد العزيز الجامع، ويورّد له الكتب من العراق.[٣]

* * *

مؤلفاته عدا التحفة:

١- خلاصة الهيئة النبهانية عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدلة العقلية في

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص٨.

(٢) توجد في الكويت أسرة باسم (النبهان) كان منهم الدكتور نبهان بن إبراهيم النبهان وكيل وزارة التخطيط في الكويت سابقاً، وهو يقدم لنا في موقع تاريخ الكويت على شبكة الانترنت نبذة عن أسرته التي لها ديوان في منطقة الشامية بالكويت، فيقول: هم ذرية الشيخ أبراهيم بن أحمد بن موسى النبهان مؤسس وإمام مسجد النبهان (١٨٧٤م)، وأبنائه هم: جدنا محمد الذى كان مؤذناً للمسجد في حياة والده، وأَمَ المسجد بعد وفاة ابيه، وأخيه الشيخ عبدالعزيز (الأزهري) الذى أمَّ في مسجد ابن بحر، ولم يرزق بذرية، والوالد هو إبراهيم محمد البراهيم النبهان، ولم يكن له أعمام أو أخوان.
ومن هذا نستنتج أن جدهم هو ابن عم الشيخ خليفة بن حمد بن موسى والد مؤرخنا صاحب التحفة.

(٣) مدونة بشار الحادي، سبق ذكرها.

إثبات الحركة الشمسية حول الأرض سنوياً ويومية.[١]

وتجدر الإشارة إلى أن النبهاني عُرف في البصرة بإجادة علم الفلك، ولذلك كان يستعان به لتحديد القبلة عند بناء المساجد، فقد ذكر أن دائرة الأوقاف في البصرة دعته في ١١ شوال ١٣٤٢هـ (١٥ مايو ١٩٢٤م) لتحرير قبلة جامع الإمام علي بالعشار[٢]، كما دعته في ١٨ شوال ١٣٤٢هـ (٢٢ مايو ١٩٢٤م) لتحرير قبلة محراب جامع لأبي منارتين في محلة الباشا عند إعادة بنائه في تلك السنة.[٣]

٢- أعذب المناهل في رسم المنازل.[٤]

٣- ثمرات الخرائط في رسم البسائط[٥]: ذكر النبهاني أن هذا الكتاب يمتاز عن سواه بفائدتين، الأولى أنه وضع فيه باباً في رسم قسي كالمقنطرات لمعرفة الساعة الغروبية، وهو أول اختراع اخترع في رسم قسي الساعة الغروبية على خطوط الساعة الزوالية، وكان المؤلف قد فكر فيه منذ سنة ١٣١٥هـ عندما كان في سن الرابعة عشرة من عمره، ثم وضع له قاعدة بعد أن رسم بسيطة لعرض مكة (كال)، واختبرها مدة، ثم عرضها على والده، فاختبرها مدة، ثم عرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الدهان، فلما صادق الكل على صحتها بعد الفحص أثبت لها باباً في ضمن الكتاب المذكور.

والفائدة الثانية أن جميع المؤلفين في هذا الفن شرحوا صفة وضع البسيطة إذا كان ظل عرض البلد أقل من (س) درجة، ولم يتكلموا على ما إذا ساواها، أو زاد الظل على ٦٠، ولكن النبهاني في كتابه هذا وضع له قاعدة ابتكارية، ورسمها بالفعل لبلدة (فلمبان من أرض جاوا عرض ب مه)، وأرسلها مع بعض تلامذته إلى تلك البلدة، فاختبرت نحو سنتين، فجاءت على أحسن ما يرام، فوضع لها باباً آخر.[٦]

٤- التذكرة النبهانية في وضع الأسامي للمخترعات العصرية والاكتشافات الزمانية

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٥٤، وأشار النبهاني في جزء البصرة إلى محاورة للكركوكي أوردها ذيلاً لكتابه هذا عند الطبع.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٠٨.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٠٢.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٥٤.

(٥) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٥٤.

(٦) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

وتعديل بعض الألفاظ العامية[١]: ذكر في جزء الكويت أنه له طبعة ثانية، وأشار إلى بعض بحوثه في تلك التذكرة كبحث عن التلفون، والنفط، والكهرباء، والطيران، والساعة، والحاكي.[٢]

٥- مؤنس العزب، تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب.[٣]

٦- قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار.[٤]

٧- النخبة النبهانية، شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث[٥]: طبعه النبهاني في حياته، وذلك في مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، كما نشرته مكتبة العلم في القاهرة سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بتقديم وتعليق الشيخ سيد بن عباس الجليمي في ١٥٦ صفحة، كما نشرته مكتبة نزار بن مصطفى الباز في مكة المكرمة والرياض سنة ١٤١٧هـ، وحققها أيضاً محمد عبدالعزيز الخالدي، ونشرها عن دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠١م.

٨- الثبت المسمى (سلاسل العقيان) من أسانيد الشيخ محمد بن خليفة آل نبهان.[٦]

٩- النيران في التاريخ وتخطيط البلدان.[٧]

١٠- إرشاد السالك. شرح أوضح المسالك (نظم العمروسي).[٨]

١١- الملحة النبهانية. شرح المنظومة الشمقمقية.[٩]

١٢- ديوان صغير جداً.[١٠]

---

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٢.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩٢، س١٨٠، ص٢٠٦، ص٢٠٨.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠١، وسبائك الذهب كتاب مشجر مشهور لمحمد أمين السويدي البغدادي.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

(٥) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٢.

(٦) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

(٧) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

(٨) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

(٩) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣، والشمقمقية أرجوزة في اللغة نظمها أبو العباس أحمد التواتي الحميري المعروف بابن الونان المتوفى سنة ١١٨٧هـ.

(١٠) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠٣.

* * *

شعره:[١]

كان مؤرخنا محمد بن خليفة النبهاني كعادة العلماء في ذلك الوقت شاعراً مقلاً، ولهذا يصف ديوانه بالصغير جداً، ولم يصلنا من شعره سوى ما استللناه من تحفته، وهي مقطوعات قصيرة في مدح من كان يفد عليهم من شيوخ البحرين، أو أبيات شاردة في الغزل، وما شابه، إضافة إلى قصيدته الطويلة نسبياً في وصف الحرب العالمية الأولى، وهو في كل ذلك ناظم جيد لا أكثر، وهذا ما وجدناه من شعره:

١- أربعة أبيات في مدح الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة:

تسامى على الأقران بالفضل والقدرِ ... بهمّته حاز المحاسن كالبدرِ

أميرٌ له أوج المعارف مركبٌ ... وآثاره عمّت على البرِّ والبحرِ

لهُ الأرض طراً تحت قبضة سيفهِ ... وأفعاله تنبي عن السرِّ والجهرِ

مليكٌ له خلقٌ كريمٌ ومنطقٌ ... يقرِّبهُ أهل الدراية والفخر[٢]

٢- أربعة أبيات في مدح الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة نظمها مبتدئاً بحروف اسم الممدوح:

م: من ذا يضاهيه في مجدٍ وفي كرمٍ ... مليكُ عصر المعالي نخبة الأممِ

ح: حاز المحامد بالسيف الصقيل كما ... حواه آباؤه الأنجاب في القدمِ

م: من الخليفة من عدنان نسبته ... محمود فعل وآثار على علم

د: دعته كل المعالي فاستجاب لها ... دعاء عزٍّ وإقبالٍ مع النعم[٣]

٣- ثلاثة أبيات في مدح الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة:

(١) نشر النبهاني في آخر مقدمته لجزء البحرين أربعة أبيات دون توقيع أولها: (أنحط قدري الحادثات وهمتي = من دونها المريخ والجوزاء)، وقد نسبت للنبهاني خطأ في معجم البابطين، والصواب أنه استشهد بها، ولكنها مشهورة للشاعر المصري محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٨٨١م.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٠٥.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١٧.

حــاز المــكــارمَ والمــفــاخــر سيّـدٌ ذو هــمّــةٍ تعلو إلى جــوِّ الــسّــما
منه السّياسةُ قد رَقَــتْ في حسنها أوجَ المـعـارفِ فـوق أشـقَـرَ أدهـما
دعـنـي أكــرِّرُ منطقي في وصفه ونظامَ لفظٍ فهْوَ أكملُ مَن سَـما[1]

٤- قصيدة من عشرين بيتاً قالها في أول محرم ١٣٣٧هـ (٦ أكتوبر ١٩١٨م) في أواخر الحرب العالمية الأولى ذاكراً بعض المخترعات بأسماء وضعها لها، ومشيراً للحرب بالتاريخ الهجري للقرن الرابع عشر:

أَجِـلِ المناظرَ في عجائبَ مَـنْ قَـدَرْ وَاجْـلُ البصيرةَ في تصاريفِ القدرْ
فلقد أبــادت حــربُ رابـعـة العشر أمـماً وملَّت معظمَ الأرضِ البشر
بمــدافــعِ الــطَــرّادِ أو قــذّافــةٍ تــأتي عليهم ليس تُبقي أو تَـذر
وبــكــل طــيّــارٍ وجــــوّالٍ سَـطَـا بـقـذائـفِ الـرّشـاش يُــزْري بالمطر
وكـأنّمـا المـنـطـادُ في سِرْب الـعِـدَى نَــسٌر وصَـقـرٌ هـافـتـان عـلى حذر
وتــرى شـهـابَ قـذائـفِ الـجّـوال في جسد الـعـداةِ تقول لا منّي مفرّ
وكـذا القنابلُ كالشّهاب تساقطتْ إنْ أخـطـأت طـيـارةً صـابـتْ زُمَـر
فـكـأنّمـا الأجـنـادُ في نــار الـوغَـى أعـجـازُ نـخـلٍ ساقَـهـا أمْــرُ القدر
فـغـدت مـيـادينُ المـقـاتِـل محشرًا وكـذا الأسـاطـلُ راسـيـاتٍ في البحَر
قِــسْــمٌ بــآلات الـسّـمـوم مُـجـنـدَلٌ وســواهُ قسمٌ في الخنادقِ والحُفر
ولَـكَـم بــوارجُ أو بـواخـرُ أُغـرقَـت مـن لَـغْـمِ غَــوّاصٍ ونــسّــافٍ فجر
وتــرى المـدافـعَ لافـظـاتٍ قـارَهـا كالسّحب سـمّاً خـردلـيّـاً معتكَر
نــبّــاذة بـالـذبـذبـان مـنـيرُهـا لـلـجـوّ مـشرقـةٌ بـضـوءٍ مبتكَر
فكأنه خِـيَـمٌ ضُرِبْــنَ عـلى النَّقَا والجندُ تهجمُ بالقنابلِ والشّفر
وكــأن لـيـلَـهـمُ نـهـارٌ إنْ مَـشَـوا خلف المنير مع المـدافـع في الأثـر
لم يبقَ قُـطْـرٌ في البسيطة خاليًا مـن فـدْح سعرٍ أو وبـاءٍ أو ضرر

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٣١.

فاجعلْ مناطيدَ التهاني ربَّنا ... دومًا محلقةً بأعلامِ الظّفر
مملوءةً بالفيض من بحر الرّضا ... نُطْفي بها تأجيجَ حربٍ مستعِر
فالكلّ من هرْجٍ ومرْجٍ واجفٌ ... يا عالم السّراء اكشفْ ما أضر
وأتمَّ مطلوباتِنا يا ذا العُلا ... بالنّصر للملِك المؤيَّد بالظّفر[١]

٥- وله متغزلاً هذين البيتين من ديوانه:

لما تبدّى في قباءٍ مُفتخَرْ ... من فوقه الفرُّوج ذاك المعتبَرْ
وعلتهما من بعد ذلك جبَّةٌ ... فدهشتُ فيه، وقلت ما زاغ البصر[٢]

٦- وله هذين البيتين يذكر فيهما الستة الذين تكلموا في المهد:

يكلِّمُ في المهد النبيُّ محمدٌ ... وموسى وعيسى ثم شاهد يوسفا
ومُبري جريجٍ وابن ماشطةٍ كذا ... فهاكها ستاً لها معرِّفا[٣]

٧- وله هذه القصيدة ذات الأبيات الثمانية من ديوانه الشعري متغزلاً:

وحياةِ مَنْ أضنَى الفؤادَ وُعُودُها ... ما هاجني إلا الورودُ وَعُودُها
وبسين طرّتها وخمرةِ ريقِها ... وضياءِ غُرّتها وورد خدودِها
قسَمًا لقد جارت عليَّ بقامةٍ ... كالبان لكن رُصِّعتْ بنهودِها
وكأنّ مِعْصمَها ولمعَ وِشاحِها ... فجرٌ تلتْه الشّمسُ يومَ سُعودها
وكأنّ ملْثمَها ومنظرَ وجهِها ... كالبدر وسْط السّحْبِ حينَ ركودها
والعِقدُ مع قُرْطٍ يخيَّل أنّه ... نجمُ السّما والزُّهْر عندَ صُعودها
وكأن مشطيها وحسن قوامِها ... أغصان بانٍ كُلِّلت بورودها
سدَلَتْ على الوجه المنير ببرْقِعٍ ... شفٍّ يحاكي النورَ وقت صعودها[٤]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢٠٩.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢١٥، وأورد النبهاني صياغة أخرى للشطر الأخير هي: فهويته وعلمت ما زاغ البصر.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٤٩.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢٢٢.

* * *

وفاته:

جاء في أعلام الزركلي أن الشيخ محمد بن خليفة النبهاني قد توفي سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) في مدينة البصرة[١] عن عمر قارب السبعين عاماً، وجاء في مصادر أخرى أنه توفي سنة ١٣٧٠هـ[٢]، والثابت أنه دفن في مقبرة الحسن البصري بالزبير، وقبره معروف إلى يومنا هذا في ركن من أركان هذه المقبرة.[٣]

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١١٦، والزركلي يذكر أن من أخبره بتاريخ وفاة النبهاني هو الشاعر خالد الفرج الذي توفي بعد النبهاني بثلاث سنوات مما يدل على أن المعلومة كانت جديدة وموثوقة.

(٢) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٩، ص٢٨٧.

(٣) مقالة بعنوان «مقبرة الحسن البصري.. ما زالت كلمات ساكنيها طريّة في ذاكرة الزمن» في جريدة المدى العراقية بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٣م بقلم ريسان الفهد، وفي المقالة إشارة إلى وجود إحدى المحلات الصغيرة في قضاء الزبير باسم (النبهانية) نسبة للمؤرخ النبهاني، ولعله أقام بها في أواخر أيامه.

الفصل الثاني: النبهانية.. المُؤَلَّف

التحفة النبهانية

في

تاريخ الجزيرة العربية

مزينة بالرسوم

تأليف فريد العصر والأوان . العالم الشيخ محمد بن العلامة الشيخ
خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ثم المكي المالكي
المدرسين بالمسجد الحرام كان الله لهما عونا
ومعينا — آمين

﴿ الجزء — ١٠ — المنتفق ﴾

تنبيه كل نسخة لم يوقع عليها المؤلف تعد مسروقة ويحاكم
ناقلها — وايضا لا يعتمد على صحتها

الطبعة الثانية — سنة ١٣٤٤ هـ ق — ١٣٠٤ هـ ش
طبعت على نفقة المؤلف. (وحقوق الطبع محفوظة له)

طبعت بالمطبعة المحمودية التجارية الكائن مركزها العمومي بميدان
الجامع الازهر الشريف بمصر — لصاحبها ومديرها
(محمود علي صبيح)

التحفة النبهانيه

في امارات الجزيرة العربيه

تأليف الشيخ محمد ابن العالم الفاضل
الشيخ خليفه بن حمد النبهان
الطائي ثم المكي المدرس
بالمسجد الحرام

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
ومن بعده لورثته

يطلب هذا التاريخ من محمد خليفه النبهان
بمكة المشرفة وعطفة (الشامية)

طبع بمطبعة الآداب
سنة ١٣٣٢

الآن ينصب حديثنا على كتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) أهم آثار مؤرخنا محمد بن خليفة النبهاني، وسنحاول تناول الموضوع من عدة جوانب كما سيأتي:

* * *

أجزاء (التحفة النبهانية):

رغم أن مؤرخنا محمد النبهاني يذكر في تحفته أن كتابه هذا يتكون من اثني عشر جزءاً، إلا أن المتوافر منها أربعة أجزاء فقط، ولعلها ما طُبع حقيقة، بينما بقيت الثمانية الأخرى مخطوطة في أدراج النبهاني، ولعلها ما زالت محفوظة لدى ورثته في مكان ما.

والأجزاء المتوافرة هي:

* جزء٦ البحرين: هو أول الأجزاء طباعة، وأكثرها أهمية لريادته، فلم يطبع عن تاريخ البحرين بهذا التوسع كتاب قبله، والطبعة المتوفرة منه لدينا هي الثانية الصادرة في سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) عن المطبعة المحمودية[١] بالقاهرة، فالأولى التي طبعت في بغداد في أوائل الحرب العالمية الأولى نادرة الوجود[٢]، وفي جزء الكويت ذكر أن لجزء البحرين طبعة ثالثة، وهو ما لم نره[٣]، وربما كان مشروعاً للطباعة يعتزم النبهاني القيام به، ولكن الموت لم يمهله طويلاً لتحقيقه.

والنبهاني في الطبعة الثانية لجزء البحرين يكتب تنبيهاً يزهّد القارئ في البحث عن

(١) كانت هذه المطبعة تقع في ميدان الجامع الأزهر بمصر، وصاحبها ومديرها هو محمود علي صبيح، كما ذكر على غلاف جزء البصرة (الطبعة الثانية: ١٣٤٢هـ)، وكانت موجودة إلى ثمانينيات القرن العشرين حين أثيرت حولها قضية طباعة نسخة تخدش الحياء من (ألف ليلة وليلة) سنة ١٩٨٥م، ولعلها ما زالت موجود إلى يومنا هذا.

(٢) كما ذكرت سابقاً، يمتلك الباحث الكويتي صالح المسباح نسخة أصلية مختومة من قبل المؤلف لهذه الطبعة، وذكر لي الباحث البحريني بشار الحادي أنه يمتلك نسخة مصورة من الطبعة الأولى من التحفة (البغدادية)، وهي أصغر من الطبعة الثانية، وهناك اختلافات بين نصي الطبعتين.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩.

الطبعة الأولى جاء فيه: (قد أعدنا النظر فيه في الطبعة الثانية، ووسعنا متنه ومبناه، وبسطنا لفظه ومعناه، وزدنا فيه فصولاً وفوائد وأمثلة وشواهد حتى كأنه أنشئ إنشاءً مستأنفاً. كل ذلك تتمةً للفائدة، واستزادة في التصحيح والضبط).[١]

* جزء ٨ الكويت: هو أقل الأجزاء فائدة، فقد كتبه النبهاني على عجالة بعد زيارة قام بها للكويت في سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وطبعه في سنة عمره الأخيرة، فكان أشبه بنتائج رحلة، وفيه كثير من المعلومات المنقولة عن الكتب القديمة، وأقحمها المؤلف على الموضوع دون داع، فقد استطرد لذكر أمور لا داعي لها كأيام العرب في الجاهلية، وأحكام الصيد، وما أشبه، ويمكن القول أن نصف مادة هذا الجزء لا علاقة لها بالكويت، كما أن هذا الجزء امتلأ بالفراغات كالإحالة إلى صفحات يتركها أرقامها أقواساً فارغة، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض المعلومات كأن يقول: سنة ( )، أو يقدر عدد سكانها ( ) نسمة.

وكان النبهاني مدركاً لهذا القصور في جزء الكويت، ولهذا نجده يسهب في المقدمة بالاعتذار عن ذلك، ويسرد أسبابه راجياً من القارئ غض النظر عن ذلك التقصير.

بل أن هذا الجزء ينتهي نهاية مفاجئة حيث أن المؤلف يبدأ بالحديث عن النهضة التعليمية والمدارس في الكويت، ويذكر أنه سيعددها في السطور القادمة، ثم ينتهي الكتاب، مما يعني أن هناك ملزمة تحتوي على أسماء مدارس الكويت، وربما مباحث أخرى بالإضافة إلى فهارس الكتاب لم تطبع بخطأ من المطبعة!!

والحقيقة أن هذا الجزء رغم أنه جاء على غلافه أنه مطبوع سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) إلا أن الحقيقة تبين لنا أنه طبع في أوائل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) لأنه في عدد من المواضع يذكر حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح بوصف المغفور له، والشيخ أحمد توفي في ٢٩ يناير ١٩٥٠م (٩ ربيع الثاني ١٣٦٩هـ) بالإضافة إلى ذكر بعض الأمور التي وقعت في تلك السنة، ويبدو أن النبهاني أضاف هذه المعلومات خلال مراجعة البروفة الأخيرة للكتاب، وبالتالي، فيمكننا الجزم أن هذا الجزء طبع في منتصف ١٩٥٠م، وليس في السنة السابقة لها كما ظهر على الغلاف.

وربما أن الكتاب لم تكتمل طباعته إلا والمؤلف قد فارق الحياة، وبذلك لم يستلمه من المطبعة المحمودية بمصر، وبقيت النسخ في القاهرة، ولم يتم توزيعها في مكتبات المنطقة،

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١.

فبقيت نسخه نادرة للغاية، وغير متوفرة كبقية الأجزاء، وهذا ما يفسر انفصال هذا الجزء، وعدم إعادة طبعه مع بقية الأجزاء في الطبعات الحديثة.

ونورد هنا رأياً للمؤرخ راشد الفرحان في كتابه (مختصر تاريخ الكويت) المطبوع سنة ١٩٦٠م عن جزء الكويت من التحفة يقول فيه:

«اختص الكويت من تاريخه هذا بالجزء الثامن منها، وقد زار الشيخ محمد النبهاني الكويت، وسمع من أهلها تاريخ بلادهم وأحوالهم، إلا أنه غض النظر عن جوانب من تاريخ الكويت كان ينبغي له أن يذكرها، ومما يظهر لي أن الكتاب ناقص الموضوع في تاريخ الكويت لأن وقوف المؤلف في نهايته يدل على أنه لم يتمه بعد، وعلى كل، فإن لكتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) ميزة على غيره حيث أنه ذكر جانباً من تاريخ الكويت القديم، فقد تكلم عن أيام العرب ومرابعهم من الذين سكنوا أرض الكويت قبل أن تسمى كويتاً، كما ذكر البلاد التي من أرض الكويت الحالية، وكان لها شأن وماض في الغابر مثل كاظمة ووارة والصبية وغيرها، والتي أصبحت اليوم أطلالاً وأرضاً مقفرة، ونحن نشكره على العناية بتاريخ بلادنا العربية سواء القديم منه والحديث، فرحمه الله، وجزاه خيراً».[١]

ومثل النقد السابق تعرض له الجزء الخاص بالبحرين، فيقول الشيخ محمد علي التاجر المؤرخ البحريني في كتابه «عقد اللآل في تاريخ أوال»: «الشيخ محمد بن خليفة النبهان المكي فاز بالسبق في مضمار تأليف تاريخ البحرين، وإن لم يسلم في تأليفه من مواضع الانتقاد كحشوه التملقات غير اللازمة في مثل هذا الفن الذي يجب تنزيهه، وبعض الأغلاط التاريخية، وتشويه بعض الحقائق سواء كانت عمداً أو سهواً، وعلى كل حال، فلا يجب أن نبخسه حقه، بل نكبر همته وغيرته على ما أبداه وتكبده من المشاق مع أنه غريباً في هذه البلاد لا يمت اليها بنسب ولا سبب[٢]».[٣]

ونظراً لأن الجزء الخاص بالكويت لم يطبع إلا مرة واحدة قبل ٦٥ عاماً، وسبق لنا القول أن طباعته جاءت في ظروف صعبة، فلم تتوفر نسخه للشريحة الأكبر من القراء، فقد قمت في أول ملاحق هذا الكتاب بوضع مختصر لهذا الجزء، وفيه وضعت كل المادة المتعلقة بالكويت، ولم أحذف إلا ما وجدته خارج الموضوع.

(١) راشد الفرحان، مختصر تاريخ الكويت، ص١٣.

(٢) قول التاجر هذا يتنافى مع ما يذكره النبهاني عن تواجد عشيرته في البحرين، وولادة أبيه فيها.

(٣) محمد علي التاجر، عقد اللآل، ص١١.

ج٩ البصرة: هو أكبر الأجزاء المتوافرة حجماً، وهو مليء بالمعلومات، وإن كان كثير منها منقول عن الكتب القديمة، وهو مزدان بالصور الفوتوغرافية للأشخاص والمواضع، والمتوافر منه طبعة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) رغم أن عليه تاريخ السنة السابقة لذلك، ولكنه يذكر حوادث وقعت في السنة التي ذكرناها للطبع.

والنبهاني يذكر في جزء الكويت أن لجزء البصرة طبعة ثالثة[١]، وما هو متوفر لدينا هو الطبعة الثانية، والحقيقة أنها الأولى، ويبدو أنه سماها الثانية لأنه طبعها مع الطبعة الثانية لجزء البحرين.

ج١٠ المنتفق: هو مبحث رائد في موضوعه لأنه أول كتاب يتوسع في ذكر تاريخ مشيخة المنتفق التي لعبت دوراً مهماً في صياغة تاريخ المنطقة الجنوبية للعراق خلال أربعة قرون، ولم يسبقه في التأريخ لها إلا كتيب سليمان فائق (تاريخ المنتفق)، وهو صغير قليل الفائدة، ويبدو أن النبهاني كان على علاقة طيبة بشيوخ المنتفق من آل سعدون، فنجده في هذا الكتاب يكتب عن معرفة وثيقة بتاريخهم القديم والمعاصر له، كما يفصل نسبهم وتفرعاتهم بلغة الخبير بهم، ويسرد وقائعهم بأسلوب المناصر لهم، ويحكي تاريخهم بإعجاب واضح لهذه المشيخة العربية.

ورغم أن النبهاني يذكر أن جزء المنتفق مطبوع سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، إلا أن الجزء في آخره يحتوي على وفيات وقعت في أواخر سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م)، مما يشير إلى أن النبهاني لم يكن دقيقاً في كتابة تاريخ طباعة كتبه، وهذا ما لاحظناه في أجزاء البصرة والمنتفق والكويت.

وذكر النبهاني في جزء الكويت أن لجزء المنتفق طبعة ثالثة[٢]، وما هو متوفر هو الطبعة الثانية، والحقيقة أنها الأولى، ويبدو أنه سمّاها الثانية لأنه طبعها بُعيد الطبعة الثانية لجزء البحرين.

وهذه الأجزاء الأربعة هي المطبوعة حقيقة فيما يبدو، ولكن النبهاني في آخر جزء البصرة ذكر أجزاء الطبعة الثانية من كتابه (التحفة النبهانية)، وسردها كالآتي:

١- المقدمة. الحجاز. مكة المشرفة. المدينة المنورة. جدة. الطائف. رابغ، وتوابع كل

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١٢.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٥٠.

قسم.[١]

٢- اليمن. صنعاء. عسير. عدن. لحج، وتوابع كل قسم.[٢]

٣- حضرموت. مكلا. والشحر. المهرة.[٣]

٤- مسقط. زنجبار. الكونغ. آل أبي سعيد.[٤]

٥- عمان. أبو ظبي، وآل أبي فلاح. دبي، وبنو ياس والهناوية. الشارقة، والقواسم. رأس الخيمة، والقواسم. أم القيوين، وآل علي. عجمان، وآل أبي خريبان، وملحقات كل إمارة.[٥]

٦- جزيرة البحرين. المحرق. المنامة، وتوابعهما. آل خليفة.

٧- الأحساء. القطيف. العقير. الجبيل. قطر. وملحقاتها.[٦]

٨- الكويت. آل صباح.

٩- البصرة. الزبير. القرنة. العمارة، وتوابع كل قسم .

١٠- المنتفق. الناصرية. سوق الشيوخ. الشطرة. قلعة سكر. الحي. البطائح. الجزيرة. الكبائش، وتوابعها، وآل سعدون.

١١- آل رشيد، وحايل، والجوف، ودومة الجندل، والقصيم، وملحقات كل قسم.[٧]

١٢- آل سعود. الرياض. الدواسر. الخرج . الأفلاج، وملحقاتها.[٨]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢٦.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١٤.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١٤.

(٤) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١٤.

(٥) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٦٨.

(٦) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩.

(٧) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩.

(٨) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩.

هذا ما عدّده النبهاني من أجزاء كتابه، وأشار في مواضع مختلفة من تحفته لبعض محتويات هذه الأجزاء[١]، مما يؤكد أن هذه الأجزاء كانت ماثلة للعيان بين يديه، وإن كانت مخطوطة، وبالتالي، فإنها لم تكن مجرد خيال في ذهنه، أو مشروعاً مستقبلياً لم يسعفه الوقت لتنفيذه.

وأعتقد أن ما منع النبهاني عن طباعة هذه الأجزاء هو أن الأوضاع السياسية والتقسيمات الجغرافية في الجزيرة العربية كانت سريعة التغير في تلك الفترة، خاصة بعد أن وحّد الملك عبد العزيز آل سعود معظم أجزاء الجزيرة العربية في مملكة واحدة، فلم يعد من اللائق أن تستمر التقسيمات التي وضعها النبهاني لأجزاء كتابه على حالها، فعسير لم تجد جزءاً من إقليم اليمن، وقطر أصبحت دولة مستقلة عما جاورها، وإمارة آل رشيد زالت عن الوجود، والحجاز صار جزءاً من المملكة العربية السعودية. الخ!

وهذه التغيرات المتلاحقة في الجغرافيا السياسية كانت تتطلب من النبهاني أن يعيد النظر في هيكلية كتابه كاملة، وهو الأمر الذي لم يكن مؤرخنا فيما يبدو يملك الوقت أو الجهد لفعله.

* * *

أسلوب التحفة:

يلتزم مؤرخنا محمد بن خليفة النبهاني في تحفته باللغة السهلة في سرده التاريخي، وظل ملتزماً بأصول اللغة العربية مع هنّات نحوية أو إملائية لا تكاد تذكر، ونلحظ تأثراً باللهجة العامية هنا وهناك دون إخلال بجمال لغته، ولم يورد في كتابه من الشعر العامي إلا أبياتاً شاردة هنا وهناك كانت ضرورية كشاهد على بعض الحوادث التاريخية التي يسردها.[٢]

ورغم سلاسة أسلوبه إلا أنه على طريقة الفقهاء كان يضع لكتبه خطبة بمثابة المقدمة يتفنن فيها بالسجع واستخدام الجمل المنمقة، ولنأخذ مثالاً على أسلوبه في مقدمات كتبه مما جاء في مقدمة جزء البحرين، حيث يقول:

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٠١.

(٢) من الطريف أن نلحظ تأثيراً للهجة الحجازية في أسلوب النبهاني عندما تحدث عن مزروعات البصرة حيث ذكر البطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر: الحبحب والخربز، والحبحب هو البطيخ الأخضر (الرقي) بلهجة أهل الحجاز، والخربز هو البطيخ باللغة التركية الشائعة وقتئذ في الحجاز.

«الحمد لله كثير الألطاف، ومُكوّن الدرّ تحتويه الأصداف، ومُحصي عددها في البحار مع اختلاف الأصناف، وجعلها من أحسن حليةٍ للأنام، وسيّر الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، لاكتساب ثمرات معادن البحر الحسان، وفقــاً لقوله تعالى: «يخرج منها اللؤلؤ والمرجان»[١]، فلا يعزب عن علمه القديم حوادث الأعصار، ولا ما اعتنى بجمعه أهل المعرفة بالأخبار، المنزّه عن الكيف والأين، الجاعل برزخاً بين ملتقى البحرين، ميّز بينهما، وأحصى عدد الأمواج، هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله صدور العرفان، وعلى أصحابه وتابعيهم بدور الزمان. ما أُرّخت نكتة في العصور الخوال، وما جلبت الدراري من جزيرة أوال، وما اقترنت الزهرة بالمريخ[٢]، وما شرع إخباريٌّ في فن التاريخ».[٣]

* * *

منهج النبهاني في التاريخ:

شرح النبهاني في مقدمة جزء المنتفق بعض منهجه في تأليف التحفة، وهذا ما قاله:

«رتّبت كتابي هذا على حسب السنين العربية القمرية، ونظائرها بالميلادية، وجعلت رموز الشهور العربية كما هو معروف لدى علماء الهيئة، من محرم (م. ص. را. ر. جا. ج. ب. ش. ن. ل. ذا. ذ)، وإن القصد من جمع هذا التاريخ هو إحصاء الفائدة حسب الطاقة بصورة مختصرة اقتصاداً، وتسهيلاً للمراجعة.

وجعلت ابتداءه من حين بزوغ شمس الإيمان بظهور نبينا محمد ﷺ على أنه إذا اقتضى البحث أو الموضوع بأن أذكر شيئاً قبل ذلك، فإنني أذكره حسب ما يظهر لي معتمداً على أجلّ الكتب التي سأذكر أسماءها - إن شاء الله - في آخر جزء من هذا التاريخ.[٤]

وإنني كنت قد قمت بتهيء رحلة عمومية في جزيرة العرب، وبالأخص في أواسطها، لكي أحيط بجُلّ هاتيك البقاع المجهولة حتى عن أهلها أنفسهم، ولكن لنشوب الحرب العظمى

(١) هذه الافتتاحية بذكر الغوص في اللؤلؤ وركوب البحر تدل على ذكاء المؤلف لمناسبتها لموضوع كتابه عن تاريخ البحرين التي كان يقوم جل اقتصادها في ذلك الوقت على هذين النشاطين.

(٢) هنا إشارة إلى معرفة المؤلف بعلم الفلك الذي برع وألف فيه هو والده.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢.

(٤) هذا الجزء غير متوفر، والراجح أنه لم يصدر أساساً، ولهذا لم يضع النبهاني قائمة بأسماء مراجعه، ولا يمكن لنا معرفة مراجعه إلا بما يذكره في متن الكتاب أو ما نستنتجه من قراءات سابقة.

وقف تيار همتنا، وتراجع عزم فكرنا عن ذلك، فاقتصرنا على ما سطرناه، (لأن معظم ما جمعناه في عنفوان نشاطنا سُلب منا مع قسم من رسوم وصور ومناظر نادرة الوجود ضمن مؤلفاتنا العديدة)، وكنا قد بذلنا قسماً لا يستهان به من ثروتنا في اقتناء تلك النوادر والملح، وتخليصها من أيدي محبي العلم والفنون القديرين على ذلك، وإنني قد زدت بعض مسائل خارجة عن موضوع التاريخ وتفاسير رأيت الحاجة ماسة إليها، وهذا ما دعاني عن وضع تاريخ بمعناه الحقيقي.

ولم أضع في أوائل الأجزاء أو أول المباحث مقدمات أو توطئات أو نظريات للأمور اختصاراً في الوقت، وخوفاً من سآمة القارئ، ثم أنني ألحقت في كل جزء جدولاً بأسماء الوفيات من الفقهاء والعلماء والأدباء وقسماً من الأعيان، مع الإشارة إلى الأعمال التي برعوا فيها، أو أخلدت لهم ذكراً حسناً، وإن جميع كتبي قد نسقتها على خطة جديدة يعرفها القارئ عند المراجعة، وبذلت جهدي في وضعها على طريقة تذلل العقبات أمام المؤرخين الذين يأتون من بعدنا، حيث أن تاريخ جزيرة العرب غامض حتى عن أهلها أنفسهم، وإن بعض المؤرخين والصحفيين قد نشروا قسماً من مباحث تاريخنا الذي طبع، وقسماً مما ألقيناه على تلامذتنا في مسقط وفي البحرين وفي البصرة[١]. بل أقول أن قسماً من أوراقنا اختلست منا في البصرة، ونشرت[٢]، ولم تنسب لنا، ومع ذلك فلا لوم على الناشر، لأن المقصد واحد، وهو بثّ العلوم والفوائد، وقد أدخلت في مؤلفاتي تحسينات جمة مفيدة لمن يعي.

وإننا قد فكرنا في ذلك المنهج منذ أعوام، وجعلنا نقدم رجلاً ونؤخر أخرى خوفاً من حسود معاند، أو من محابٍ مارد، بيد أن الظروف ألجأتنا إلى وضعه ونشره».[٣]

والنبهاني يعتمد في منهجه على نمو كتبه التاريخية بتتابع الطبعات، (أو هكذا كان يأمل)، ولذلك يكرر في كل أجزاء تحفته التاريخية مطالبته بعون القراء، ففي مقدمة جزء البحرين كتب: «أرجو من القراء الكرام أن يرشدوني على مواضع الخلل لأستدركه إن شاء الله في الطبعة الثالثة عند إتمام جميع تاريخ جزيرة العرب، وألتمس من أهلها أن يقدموا لي رسوم حكامهم وأمرائهم الحاضرين والغابرين، وأن يمدوني بإسعافاتهم لتحصل للجميع الفائدة

(١) هنا يشير النبهاني إلى أنه مارس التدريس في مسقط والبحرين والبصرة، ولعله يقصد بتدريسه في المدينتين الأولين أنه عقد مجالس علمية خلال زيارته لهما.

(٢) هنا يشير النبهاني إلى احتمالية إلى أن أوراقه التي سلبت منه خلال أسره قد تسربت إلى آخرين استفادوا منه، ولكنه يتقبل تلك السرقة الأدبية بروح التسامح.

(٣) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص٨.

المنشودة، وعنواننا هو (باسمنا إلى البصرة في محلة القبلة)، وأرجو أن لا تتثبط همة الأدباء إذا طالت المدة، فإنني إن شاء الله الرحمن الرحيم ما دمت على قيد الحياة أجدد طبعه إن شاء الله تعالى عندما أتحصل على فائدة جديدة)[١]، وهي الطبعة - الثالثة - لم تصدر أساساً.

وكذلك كرر النبهاني تلك الدعوة في مقدمة جزء البصرة، والمنتفق والكويت، وفي مقدمة جزء الكويت يكتب عبارة ذات مغزى، فيقول: «نلفت أنظار القراء النبلاء محبي العلم، واقتناء كتبه أن يبحثوا عن الطبعة الأخيرة، لأنها أغزر مادة، وأوفى تفصيلاً».[٢]

وأنا أرى أن طريقة طلب عون القراء هي محاولة من المؤلف لتجنب النقد الذي قد يتعرض له بسبب خطأ أو تقصير أو نسيان، ولرمي الكرة في ملعب القارئ، وترك باب البحث مواربا لما قد يستجدّ من أحداث أو ظروف.

والمؤلف في منهجه عموماً يقوم بالتعريف بالإقليم الذي يتحدث عنه من حيث الموقع والحدود والمظاهر الطبيعية، ويتطرق لتاريخ هذا الإقليم منذ أقدم العصور وصولاً إلى عصر المؤلف في سرد طويل، وهو يعدد أهم معالم ذلك الإقليم من قرى ومساجد ومدارس، بالإضافة إلى اهتمامه بوضع جدول للوفيات أحياناً، وتعديد أهم التطورات العصرية الذي طرأت عليه.

* * *

المراجع التي استخدمها النبهاني في تحفته:

كان النبهاني قد وعد أن يذكر المراجع التي استند إليها في تحفته في ختام كتابه، ولكنه لم يتمكن من الوفاء بوعده هذا بسبب عدم اكتمال طباعة الكتاب، ولكننا سنحاول سرد بعض المراجع التي ذكرها في متن كتابه:

ففي جزء البحرين ذكر أنه استفاد من سجلات دار الإمارة المخزونة في دار الأسفار، ورواية ووثائق الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، والشيخ عبد الله بن سعد بن شملان، بالإضافة إلى بعض الكتب التاريخية والجغرافية واللغوية كمعجم البلدان، والقاموس المحيط، وسبائك العسجد، ومن الواضح أنه رجع إلى كتب تاريخية لم يذكرها ككتب التاريخ الإسلامي المشهورة، وبعض كتب تاريخ المنطقة، وخاصة عنوان المجد لابن بشر.

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٥.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٦.

وفي جزء البحرين كما في بقية أجزاء تحفته يقوم النبهاني بزيارات ميدانية، ويسجل مشاهداته الشخصية، ويستقي المعلومات من تلك الزيارات والمشاهدات.

وفي جزء البصرة يذكر النبهاني رجوعه لكتاب المعارف لابن قتيبة، ورحلة ابن بطوطة، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ومروج الذهب للمسعودي، ومن الواضح أنه رجع لمعجم البلدان لياقوت، بالإضافة إلى أنه استفاد مما كان ينشر في تلك الفترة في مجلة لغة العرب البغدادية من بحوث وأخبار، وغيرها من الدوريات، بالإضافة إلى نتائج زياراته الميدانية، ومشاهداته شخصية، وخبراته المتراكمة كمقيم في البصرة.

وفي جزء المنتفق لا نجده يذكر أسماء كتب رجع إليها، ولكن من الواضح أنه استفاد من كتاب مطالع السعود لابن سند، بل أنه نقل منه نصوصاً مطولة، وكذلك استفاد من مجلة لغة العرب، وخاصة أخبارها، وبحوث يعقوب سركيس فيها عن مشيخة المنتفق، واستفاد النبهاني معلومات كثيرة من رواة المنتفق وشيوخهم آل سعدون، فهو يورد تفصيلات عن أنسابهم وتفرعاتهم مما لا يوجد لدى من سبقوه.

أما جزء الكويت، فباستثناء معلوماته عن أيام الحرب في الجاهلية التي نقلها من الكتب القديمة، ومعلوماته عن الصيد التي نقلها عن كتابه الآخر عن أسماء المخترعات، فمن الواضح أنه استفاد من كتاب تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد، كما صرح أنه اطلع على كتاب (صفحات من تاريخ الكويت) ليوسف القناعي، وفي هذا الكتاب ينقل النبهاني عن صحافة زمنه معلومات عن تاريخ النفط في المنطقة، بالإضافة إلى نتائج مشاهداته وزياراته الميدانية في الكويت، مع ما استفاد به من روايات ووثائق ممن التقى بهم من شيوخ الكويت وأعيانها.

ولعل أقسى هجوم وجه للنبهاني، وثلم لمصداقيته، كان بقلم المؤرخ معن العجلي في كتابه المعنون «الخميسية وما حولها»، حيث اتهم النبهاني بتهمة قاسية، خاصة فيما يتعلق بجزءي البحرين والمنتفق، حيث قال: «إن الشيخ النبهاني قد كان واسع الخيال في اختراع ما لم يقع من الحوادث، إرضاءً لمن كان يحسب عليه في كتابة الجزء العاشر كله»، ويتهمه هنا بمالأة آل سعدون.

ويضيف العجلي: «لقد علمت أن الشيخ النبهاني ما كان يكتب بقلمه، إنما كانت المواد التاريخية تُكتب له بأقلام الآخرين، والجزء العاشر المشار إليه، والجزء الخاص بآل خليفة في البحرين كُتبا للشيخ النبهاني، وقدّما له محبّرين جاهزين، الأول كُتب في العراق، والثاني كتبه له

عبد الرحمن شملان إمام أحد المساجد في البحرين بأمر من شيخ البحرين في ذلك الوقت».[١]

واتهام العجلي لا يصمد أمام قراءة متأنية لتحفة النبهاني، فالرجل يملأ كتابه بالمشاهدات الشخصية، والآراء التي تعكس اهتماماته، وتجاربه، وحوادثه، كما أن له منهجاً وأسلوباً في كل الأجزاء بشكل يوضح بصمته، وإذا كان الاتهام متركزاً على جزءي المنتفق والبحرين، فالنبهاني لا ينفي أنه استفاد من مرويات عبد الله بن شملان، وليس عبد الرحمن كما ذكر العجلي، كما استفاد من وثائق ومرويات غيره، والنبهاني عايش كثيراً من الأحداث التي كتب عنها في هذين الجزءين، بالإضافة إلى أنه رجع إلى كتب ودوريات معروفة، وهو قبل ذلك كله عالم قضى حياته كلها في التدريس والتأليف، ولا يستغرب عليه تأليف التحفة، واتهامه بأنه وضع اسمه على جهد غيره أمر لا يعقل، علاوة على كونها تهمة دون دليل سوى قول العجلي: «علمتُ»!!

أما انحياز النبهاني لآل خليفة وآل سعدون، فالرجل كان يؤرخ لهاتين الأسرتين في تحفته، وبالتالي فلا يستغرب نقله عن رواتهم، واستناده على وثائقهم، ولكن ميله لصالحهم لم يمنعه من تقديم كتاب كثير الفائدة، كان رائداً في موضوعه، وهو أمر يحسب له.

* * *

احتفاء الشعراء بالتحفة:

حازت (التحفة النبهانية) عند صدورها على ترحيب واسع من قبل القراء، وسبق لنا ذكر أن جزء البحرين ترجم إلى الانكليزية سنة ١٩١٤م، كما نشر النبهاني في آخر جزء البصرة تقريظاً شعرياً لكتابه نظمه الشاعر أحمد بن صالح البسام (من أهل عنيزة بالقصيم) جاء فيه:

عليك بسفرٍ قد حوى جلّ مقصدِ ... تنّورْ بمغنى روضه بالتعهّدِ
ويمّم ميادين العلوم مواضباً ... على الدرس تحظى في حياةٍ بأسعد
فما الفوز إلا في رياضٍ يحفّها ... مصابيح من نور العلوم بمشهد
وما الفوز إلا بالمعارف، فاقتطف ... أكاليل من زهر العلوم لتهتدي
فللعلم لذاتٌ ألذُّ من الغنى ... وفي العلم تحظى في مقامٍ ومقعد

(١) معن العجلي، الخميسية وما حولها، ص١٠٣.

فمن كان ذا حظٍّ يفوز بنورهِ ... ومن كان ذا جدٍّ تهنّى بمورد
فبادرْ زماناً أيها الشهم، وانتهز ... لعمرك أوقاتاً تروح وتغتدي
فما المرء إلا كالخيال، وإن بقى ... من الدهر أعواماً بعمرٍ ممدّد
فلا تتركنَّ العلم، واسهرْ لنيلهِ ... ولا تهملنَّ العمر يمضي بمرقد
وسرِّح بأفنان المعارف منظراً ... وكن في دروس العلم طلّاع أنجد
ألا إنَّ أهل العلم تبقى حياتهم ... مدى الدهر في خلدٍ بمجدٍ مشيَّد
كما أن أهل الجهل أموات جهلهم ... ولو أنهم فازوا بتبرٍ وعسجد
فإن كنت ذا فهمٍ وعلمٍ وحكمةٍ ... وتطلب أن تشفى الفؤاد بمشهد
فخيرُ كتابٍ بالمعارف يزدهي ... كتابٌ حوى الإعجاز بالصدق مرتدي
حوى جلَّ آيات البلاغة آيهُ ... وبان به الإبداع في كلّ مقصد
فتحفة محمود المساعي (محمدٍ) ... تجلَّتْ بآيات البيان المحمَّدي
تجلَّت بتاريخ الأعارب، إنّها ... بتاريخهم تُبدي العجاب لشهَّد
بهمّة قطب العلم، من شاد في الورى ... علوماً وآدابـاً بمجدٍ مخلَّد
همام بني النبهان شهمٌ، وإنّه ... لإكليل طيءٍ ذو ذكاءٍ موقد
ألا إنَّ ينبوع العلوم بتحفةٍ ... سمت للثريا في جمالٍ كفرقد[1]

ونشر النبهاني تقريظين آخرين لتحفته في مستهلّ جزء المنتفق، الأول لنفس الشاعر، وهو أحمد بن صالح البسام، وجاء فيه:

ذلّل الصعبَ، وارتفعْ للمعالي ... واهجر العجزَ، وانتسبْ للفعالِ
أصلح الخلق، فالصلاح عماد ... يرفع الشعب فوق عرش الجلال
إنما يرفع الشعوب نفوس ... هذبتها فضائل الأعمال
درَّ درَّ الذين بالجدّ سادوا ... سعيهم للعلا بغير كلال
طالبي المجد هل قرأتم كتاباً ... قد حوى الدرَّ مشرقاً كالهلال

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٩٣.

هـو والـلـه (تـحـفـة) بـل كـنـوز ... حـشـوه الـتـبر مـفـعـماً بـالـلآلي
رصـعـتـهـا أفـكـار شـهـمٍ هـمـامٍ ... ابـن نبهان ذي النهى والـكـمال
معدن العلم مـن (قبيلة طـيءٍ) ... فـرعـه شـامـخ شـمـوخ الـجـبـال
أسـعـد الـلـه يـا مـحـمـد شعباً ... أنـت تسعى لـرشـدهـم بالوصال
أنـت فيهم حـي وغـيـث وهـدى ... تـرشـد الـقـوم دافـعـاً للضلال
قـالـهـا شـاعـر حـكـيـم مجيد ... ابـن بـسـام داعـيـاً لـلـمـعـالي[1]

والثانية قالها الشاعر عبدالعزيز التكريتي مؤرخاً صدور التحفة سنة ١٣٤٤هـ:

مـا هـمـتُ في سـلـمـى وأمـثـالـهـا ... ولا شـجـاني صـوت خـلـخـالـهـا
ولا قـطـفـت الـورد مـن خـدِّهـا ... ولا شـمـمـت المـسـك مـن خالها
ولا رشـفـت الإثـم مـن ريقها ... ولا حـلا لي حـسـو جـريـالـهـا
ولم تـتـيـمـنـي أحـداقـهـا ... ولم أكـن في حـبـهـا والـهـا
كـم غـادةٍ حسناء تسبي النهى ... تـجـرّ تـيـهـاً فـضـل أذيـالـهـا
تـشـقّـق الـقـلـب بـألـحـانـهـا ... وتـذهـب الـلـب بـأقـوالـهـا
لم ألـتـفـت قـط لـتـمـويـهـا ... ولـسـت أكـتـالُ بمكيالها
تـريـد قـربي وأرى بـعـدهـا ... أعـجـب مـن حـالي مـن حـالـهـا
إن أيمـنـت أشـأمـت أو أعـرقـت ... أنـجـدت في نـجـد وأجـبـالـهـا
وأنمـا الـعـلـم سـمـير الـفـتـى ... يـسـلـيـه عـن سـائـر أحـوالـهـا
ومـن يـرد أن يـتـأسى بمن ... راضـتـه دنـيـاه بـأهـوالـهـا
فـلـيـتـصـفـح كـتـب أخـبـارهـا ... ولـيـتـذكـر مـجـد أقـيـالـهـا
ولـيـعـتـبر في شـامـخـاتٍ عفت ... سـقـى الـحـيـا داثـر أطـلالـهـا
وإنّ في الـتـاريـخ ذكـرى لمن ... يـريـد إلمـامـاً بـإمـلالـهـا

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، المقدمة ج.

لا سيما (تحفة) سامي الذرى ... للمشكلات العضل حلالها
العالم الفاضل أقلامه ... قد أخرست ألسن عذالها
(محمد) يعزى لنبهانها ... خدن المعالي وابن مفضالها
فاحرص على العلم بها أنه ... ليس أخو العلم كجهالها
فإنه أودع فيها من الـ ... أخبار ما يزري بأمثالها
في مدن يقطنها العرب من ... آساد قحطان وأشبالها
أتقن فيها خط أعراضها ... موضحاً مقدار أطوالها
مذ أكمل التحفة أرختها ... تحفته شأن بإكمالها[1]

وهذا تقريظ آخر للتحفة نشره النبهاني في أول جزء الكويت نظمه ملا حسين البصري حيث قال:

عليك بتاريخ (ابن نبهان) إنهُ ... لتحفة تاريخ الجزيرة كلّها
فما جاء في التاريخ مثل كتابهِ ... تنوّع ما قد جاء فيه بنقلها
وقد ضمّ تاريخ العراق ربوعه ... ففي كتب التاريخ لهو أجلّها
ترى عِبر التاريخ طيّ سطوره ... يزيدك إدراكاً وعقلاً بفعلها
وفيه خداع الحرب إن كنت قائداً ... وفيه سياسات البلاد وأهلها
وفيه من التاريخ القديم خلاصةٌ ... بها يكتفي عن ما حوى الكتبُ كلّها
فإن حُزته قد حزتَ خير ذخيرةٍ ... وإلا فلا تحسب بواجد مثلها
فذاك (ابن نبهان) الفريدُ بعلمهِ ... مشاكل تاريخ العروبة حلّها
فلا بدع إن كان الفريد كتابه ... وفي كتب التاريخ كان أجلّها[2]

* * *

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهاني، ج المنتفق، المقدمة أ.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٣، والقصيدة مؤرخة في ٢٠ ذي القعدة ١٣٦٧هـ (٢٣ سبتمبر ١٩٤٨م).

الطبعات الحديثة من كتاب التحفة النبهانية:

ظل كتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) في طبعاته القديمة التي طبعت في حياة المؤلف عزيز المنال على الباحثين، وبقيت نسخ الكتاب نادرة، إلى أن تمت إعادة طباعته طباعة مشتركة عن دار إحياء العلوم في بيروت والمكتبة الوطنية بالبحرين سنة ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، ورقمت تلك الطبعة على أنها الثانية، واحتوت على الأجزاء الثلاثة المتوافرة لدى الناشر: (البحرين - البصرة - المنتفق)، وتم إهمال جزء الكويت، ورغم أن هذه الطبعة احتوت على تعليقات قليلة في الهوامش من مصحح لم يذكر اسمه، إلا أن الطبعة خلت من مقدمة تترجم للمؤلف، وتعرّف بالكتاب.

وبعد ذلك توالت الطبعات التجارية من التحفة النبهانية[١]، وجميعها اكتفت بالأجزاء الثالثة المذكورة، وظل جزء الكويت خارج الحسبة، ولم تسفر محاولات الباحثين والمهتمين عن العثور على الأجزاء الثمانية التي (قال) النبهاني أنه ألفها من تحفته!!

وقد توفرت أخيراً نسخة مصورة من الطبعة المصرية القديمة على موقع المكتبة الرقمية العالمية في شبكة الإنترنت، فأغنت الباحث المجدّ عن الطبعات التجارية الحديثة، وإن خلت هي الأخرى أيضاً من جزء الكويت.

وقد أكّد مدير مركز الدراسات التاريخية بجامعة البحرين محمد أحمد عبدالله أن الطبعة المتداولة في مكتبات البحرين لكتاب «التحفة النبهانية لتاريخ الجزيرة العربية»، لمؤلفه الشيخ محمد بن خليفة بن حمد النبهاني هي طبعة غير دقيقة، لما يشوبها من أخطاء أدت إلى تصحيف كثير من المعلومات والحقائق التاريخية، وأغفلت جوانب مهمة مما كان وارداً في الطبعة المحمودية (القاهرة، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، المطبعة المحمودية) التي تتوفر نسختها الأصلية في جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة.

وأضاف محمد أحمد: أن الاختلاف بين الطبعتين قد شمل عدة جوانب مهمة، منها على سبيل المثال: أن طبعة ١٩٢٣م قد تضمنت أربعة أبواب: هي تاريخ الكويت[٢] – تاريخ البصرة- تاريخ البحرين – تاريخ المنتفق، في حين أن النسخة المتداولة حالياً، والتي تحمل الاسم نفسه قد اقتصرت على تاريخ البحرين والبصرة والمنتفق.

(١) منها طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وطبعة مكتبة الثقافة الدينية سنة ٢٠١٢م.

(٢) هذا غير صحيح، فطبعة ١٩٢٣م لم تكن تضم جزء الكويت، والذي لم يطبع إلا سنة ١٩٤٩م.

وقال أن هذا الجزء الذي تناول تاريخ البحرين قد مسّه التحريف والحذف بشكل لافت، وغير مبرر، وأدرجت فيه عبارات لم ترد في النسخة المحمودية، إضافة إلى حذف أسماء الشخصيات والأماكن في البحرين، بل وتغيير أسماء بعض هذه الأماكن المعروفة إلى اليوم في البحرين.

وأوضح أنه تم حذف العديد من صور الشخصيات البارزة في البحرين، والتي كانت موجودة في الطبعة المحمودية، إذ أدرج المؤلف في الطبعة المحمودية ٥٦ صورة، منها ٢٦ صورة في الجزء المتعلق بالبحرين، بينما لم ترد في الطبعة البيروتية سوى صورتين في الجزء المختص بالبصرة فقط ص١٨٩، وص٣٥٩، وهناك بعض الشخصيات البحرينية قد أُفرِدَ لها عند ترجمتها صفحة منفصلة وعنوان رئيس للتدليل على أهميتها، بينما لم يكن ذلك في النسخة المطبوعة في بيروت، مثل: (ترجمة سمو الشيخ عبدالله بن ذي العظمة الشيخ عيسى) التي وردت في النسخة المحمودية في عنوان منفصل على صفحة كاملة مع الصورة ص٢٢٩، بينما اختلف ذلك في الطبعة البيروتية، إذ جاءت ترجمة سمو الشيخ عبدالله ابن ذي العظمة الشيخ عيسى من دون وجود عنوان منفصل أو صورة، إنما جاءت في سياق الكلام في بداية فقرة جديدة، ص١٤٠.

وقال إن الطبعتين المتداولتين في البحرين قد شابهما العديد من الأخطاء اللغوية التي أدت إلى تشويه هذا الكتاب التاريخي المهم، ووعد بحرص مركزه على تقديم طبعة محققة من التحفة مستقبلاً.[١]

(١) صحيفة الوسط البحرينية – العدد ٤٢٦٠ – الأربعاء ٧ مايو ٢٠١٤م (٨ رجب ١٤٣٥م).

الملاحق

١- مختصر الجزء الثامن من التحفة: (جزء الكويت)

٢- نصوص مختارة من التحفة النبهانية

٣- الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية

١- مختصر الجزء الثامن من التحفة (الكويت)

٨

التحفة النبهانية

في تاريخ الجزيرة العربية

الجزء الثامن . من أصل (١٢) جزءاً وهو المختص (بالكويت)

مزين بالصور والرسوم

تأليف

فريد العصر والأوان . العالم الشيخ محمد بن العلامة

الشيخ خليفة بن حمد آل نبهان . المكي المالكي

المدرسين بالمسجد الحرام سابقا

ملحوظة : كل نسخة لم يوقع عليها المؤلف

تعد مسروقة . ولا يعتمد على صحتها

الطبعة الأولى

سنة (١٣٦٨ هـ ق = ١٣٠٢٨ هـ ش)

طبعت على نفقة المؤلف وحقوق الطبع محفوظة

سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

المطبعة المحمودية التجارية بالقاهرة

* **منهجي في هذا الاختصار:**

١- أوردت ما وجدته متعلقاً بالكويت، وحذفت ما قدَّرت أنه استطراد لا داعي له في أعماق التاريخ، أو حشو في الحديث لا علاقة لصيقة له بالكويت.

٢- حذفت العبارات الناقصة التي لم يكمل المؤلف كتابتها أو تركها فراغاً.

٣- كتبت الشهور والسنوات والتواريخ بالطريقة المعاصرة، ولم أعتمد الاختصارات التي استخدمها النبهاني في كتابه للشهور.

٤- حذفت كثيراً من الأقواس التي لم أجد لها داعياً، فقد أسرف النبهاني في تقويس الأسماء والأماكن في كتابه، وفي المقابل أضفت بعض علامات الترقيم والتشكيل اللازمة لوصول المعنى الذي أراده المؤلف.

٥- لم أجد أخطاء في الإملاء أو الأعراب إلا في حالات قليلة، فقمت بإصلاحها حسب الرسم المتعارف عليه.

٦- أضفت للمطبوع هوامش وتعليقات أحسبها مفيدة للقارئ.

* * *

النص محققاً بعد اختصاره:

* * *

المقدمة:

كنا قد صرحنا إجمالاً في مقدمة الجزء الأول من كتابنا (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) بأننا سوف لا نألوا جهداً في توسيعه مهما تمكنا، وأنه لم يكن من غرضنا من ذلك سوى تنوير تاريخ الجزيرة العربية، وإطلاع القراء الكرام على حالة بلاد العرب قديمها وحديثها: (طبيعياً، واقتصادياً وسياسياً).

وبالرغم من المصاعب التي تحملناها بالسفر لتلك الجهات، والتحقيقات التي أجريناها، فإننا لم نتحصل على شيء أكثر مما لدينا من معلومات قديمة عن الكويت، بل ولم نجد عند أهلها أنفسهم ممن اجتمعنا بهم في سفرتنا في ١٠ جمادى الأول ١٣٦٦هـ (١ إبريل ١٩٤٧م) أثناء زيارتنا لهم إلا الشيء اليسير لقصر مدة إقامتنا هناك.

وعليه، فيجد القارئ الكريم هنا بعض نبذ عن (الكويت) وأحوالها، مما وقفنا عليه قديماً وحديثاً، راجين من أهلها غض النظر عن التقصير فيما كتبناه، أو عن هفوات القلم إن ألمّ، ولم نقصد بذلك الصفح عن من لم ير ذكراً له أو لإسلافه، لأنه لم يكن ذلك تغاضياً منا، أو سهواً طرأ علينا، بل كما بيّناه آنفاً، وهو عدم تمكننا من الحصول عليه حسبما نريد، مما يمكننا ذكره أكثر من ذلك، مرجحين ما قاله الفخر الرازي حيث قال: (أشترط على نفسي ألا أتعرض لذكر ما أعتمده، فيما أجده مخالفاً لما أعتقده، فإن التقرير غير الرد، والتفسير غير النقد. اهـ)، كما وأننا لا نزال جادين، وباذلين الجهد للتزود من المعلومات المختصة قديماً وحديثاً.

وفي الوقت ذاته نرجو من القراء الأفاضل، وأفاضل القراء[١] أن يمدونا بما لديهم من معلومات مفيدة، وأخبار جديدة عن حالة الكويت وأهلها، وتقدمها في الرقي والعمران، وحوادثها المستجدة على ممر الأزمان، مما يهم التاريخ، أو له علاقة بالموضوع، لنستدرك ما فات في الطبعة المقبلة إن شاء الله تعالى.[٢]

(١) كذا في الأصل، ولا فرق بين الوصفين!

(٢) توفي مؤرخنا النبهاني بعد أشهر من صدور هذا الجزء، وبالتالي فلم تسنح له الفرصة لاستدراك ما فاته في طبعة مقبلة.

والله الموفق للصواب، وعليه الاتكال.

محمد الشيخ خليفة النبهاني

* * *

حالة الكويت الطبيعية:

الموقع والحدود:

تقع الكويت في عرض (كط كه) من العرض الشمالي، وطول (مح) من لندن[١]، وعلى ذلك، فتكون القبلة فيها (مغيب العقرب).[٢]

وموقع الكويت في جنوب البصرة على مسافة نحو ٨٠ ميلاً برياً، وشمال حدود الأحساء، وإن بلدة الكويت واقعة على ضفاف جون منشعب من خليج البصرة (خليج فارس= بحر أرتريا).[٣]

* * *

الحدود:

يحدّ الكويت شمالاً حدود البصرة الممتدة من أم قصر شمالاً، إلى سفوان الذي يبعد عن الزبير بنحو ٣٥ كيلومتراً. مارة بقرب جبل سنام إلى الباطن على أن (جبل سنام، وسفوان، وأم قصر) كلها داخلة في الأراضي العراقية، ويحد الكويت جنوباً ملتقى وادي العوجا بالباطن الممتد على خط مستقيم إلى جهة الجنوب، ويحدها شرقاً خليج البصرة (خليج فارس).

ويحدها غرباً الأراضي التي تتبع الباطن إلى قرب (الحفَر)، أي حفر أبي موسى الأشعري، وهو غير (الحفير)، وإن الحفر هو تابع للأراضي السعودية، حيث تتصل حدود الكويت

(١) «كط كه» تساوي بحساب الجمّل: ٢٩ و٢٦، بينما تساوي «مح»: ٤٨، وللدقة تقع الكويت بين خطي عرض ٢٨،٤٥ و٣٠،٠٥ شمال خط الاستواء، وخطي طول ٤٦،٣٠ و٤٨،٣٠ شرق خط غرينتش.

(٢) يستخدم النبهاني هنا مصطلحات فلكية، وهو العلم الذي برع فيه.

(٣) لاحظ أن الكتاب صدر قبل شيوع مسمى الخليج العربي، ولهذا كان النبهاني يستخدم المسميين الشائعين وقتئذ، وهما خليج البصرة، وخليج فارس، أما مسمى بحر أرتيريا، فهو يعود لأيام الإغريق، ولا يعرفه إلا علماء الجغرافيا ورسامو الخرائط القديمة.

بالحدود العراقية والنجدية السعودية، ومن هناك تتجه إلى الجنوب الغربي حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية، وكانت الكويت تابعة للأحساء[1]، أو هي جزء منها، ثم فصلت عنها.

* * *

الاتفاقات والمؤتمرات:

وفي بروتوكول العقير أي (اتفاقية العقير الأولى) عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) عيّنت الحدود بين الكويت ونجد.

وفي عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) حُدّدت الحدود بين الكويت ونجد في ميناء العقير، وذلك أنه لما توّج الملك فيصل الأول ملكاً على عرش العراق عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) حصل في الحدود العراقية النجدية اختلافات كثيرة مهمة ربما أخلت بالأمن العام بين المملكتين، فعند ذلك نهض البريطانيون الذين يهمهم الأمر، وسيادة القانون للخرائط والسلم، فعالجوا ذلك الأمر مع جلالة الملك عبد العزيز السعود بأن وضعوا معاهدة المحمرة عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)، وذلك بأن عقدوا مؤتمراً (نجدي عراقي بريطاني) لحل قضية القبائل، ومنع غزوات شمر، ووضعت لذلك معاهدة بين نجد والعراق عرفت بمعاهدة المحمرة، ووضعوا بروتوكول العقير (أي اتفاقية العقير) عام ١٣٤٠هـ (ديسمبر ١٩٢٢م).

ثم أن البريطانيين لما رأوا بأن الاتفاقية المذكورة لا تفي بالغرض المطلوب عمدوا إلى وضع معاهدة أخرى لإزالة الخلف الذي كان حاصلاً بين جلالة الملك عبد العزيز السعود والأشراف، فعقدوا لذلك مؤتمر الكويت عام ١٣٤٢هـ (مارس ١٩٢٤م).

مؤتمر الكويت:

انعقد مؤتمر الكويت مرتين دون جدوى، فإنه في المرة الأولى لم يحضر فيه مندوبو الحجاز، وفي المرة الثانية لم يحضر أحد من الحجاز، ولا من العراق، ففشل لأن مطالب شرق الأردن كانت مجحفة بحقوق جلالة الملك عبد العزيز السعود، ولكن ما عجز عن حلّه مؤتمر الكويت، فقد حلّ في عام ١٣٤٣هـ (أكتوبر ١٩٢٥م) في مؤتمر جدة وبحرة، وكذلك في سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) بين ملكي العراق، والحجاز ونجد.

---

(١) يقصد النبهاني هنا الفترة القديمة قبل تأسيس الكويت حين كان موضعها جزءاً من إقليم البحرين الإسلامي.

مناطق الحياد:

يوجد بين المملكة العربية السعودية وبين الكويت منطقة حياد في جهة الجنوب واقعة بين رأس القليعة جنوب الكويت، وبين رأس مشعاب في الجنوب على الساحل، وبين خط يمر غرباً بشرق من الشق إلى عين العبد، وبين ضلع الأبيض المسمّى بالشق، والواقع غربيها.

المنطقة الحيادية الثانية:

هي في جهة الغرب بين المملكة العربية السعودية والعراق والكويت، ففي عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تحصلت شركة الزيت الأمريكية المستقلة على امتياز في المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة السعودية والعراق والكويت.

اتفاقية جدة:

ففي ٤ ربيع الثاني ١٣٦١هـ (٢٠ أبريل ١٩٤٢م) وقع على اتفاقية صداقة وحسن جوار، واتفاقية تجارية، واتفاقية تسليم المجرمين بين المملكة العربية السعودية، والحكومة البريطانية بالنيابة عن شيخ الكويت، وهي تشتمل على ١٢ مادة.

ثم بعد ذلك جرى تبادل قرارات إبرام تلك الاتفاقيات في جدة في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٦٢هـ (١ مايو ١٩٤٣م)، واعتبر تاريخ ابتداء مدتها من تاريخ هذا التبادل.

* * *

المنظر العام:

إن أبنية عاصمة الكويت منشأة بامتداد على الساحل الشمالي الشرقي من خليجها على شكل نصف دائرة محاطة بسور كما سيأتي، وهي قائمة على ربوة قليلة الارتفاع على جون طوله نحو ٣٠ ميلاً، وعرضه نحو ٥ أميال، وإن ميناء الكويت يعد ثالث الموانئ المهمة التي تقع على ساحل خليج البصرة (خليج فارس)، وهي (مسقط، والبحرين، والكويت)، ويوجد في جهة الشمال على مسافة نحو ميل واحد مرسى الشويخ - بالتصغير، وهو أحسن المراسي هناك.

وليس بالكويت جبال سوى جبل أوارة، وأما ما يقرب من البلدة، فهي عبارة عن آكام وربوات وكثبان يعبرون عن بعضها بالسرة والسريرات، وبالجملة، فإن أرض الكويت قاحلة،

وإن باديتها خالية من السكان لعدم وجود مياه للشرب هناك.

* * *

المساحة:

تبلغ مساحة إمارة الكويت من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٣٠ ميلاً حيث أن مجموع المساحة تقدر بنحو ٤ آلاف ميل مربع.

* * *

الجو:

هواء الكويت معتدل صحي في الجملة، وألطفه الغربي، وليلها لطيف الهواء لا سيما زمن الربيع حيث أن النسيم الغربي يخفف شدة الحر، وفي فصل الربيع يخرج غالب سكان العاصمة إلى القرى الرابية أو الساحلية، فيربعون فيها، فإذا دخل فصل الصيف، واشتدت الهاجرة عادوا من مرابعهم إلى العاصمة.

* * *

الأمطار:

إن الأمطار قليل هطولها في الكويت، وإذا ما أغدقت في بعض السنين تخضر الأرض، وتعذب مياه الآبار كما سيأتي، ويكثر الكلأ والعشب، فترتع فيه الأنعام والدواب، وتقصده الأعراب للنجع هناك، وربما ظهر بعض الأهالي إلى أطراف البادية للتنزه، واستجماماً للراحة.

* * *

المياه:

غالب شرب سكان الكويت من الآبار العادية، أو من الماء المجلوب في السفن الشراعية من شط العرب بالبصرة لأنه أنقى وأعذب من غيره. ثم في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) تشكلت شركة لجلب الماء العذب من شط العرب إلى الكويت. يوضع في مخازن معدة. ثم بيعه بالقرب من هناك، ومع ذلك فإنها لا تفي بحاجة السكان تماماً. لا سيما زمن الصيف لكثرة استعمال

المياه من جهة، ومن جهة أخرى لوقوف الأهوية والرياح أو تغير جهاتها، مما ينشأ عنها تأخير سير السفن الشراعية الحاملة للمياه المجلوبة من شط العرب.

أما حفر الآبار الارتوازية، فأمر بعيد. حيث أننا قد فهمنا بأن حفرها مما يؤثر على آبار النفط، فيخفّ الضغط عليها، أو ربما نبض النفط أو غاز بسببها.

ولكن مما يخفف وطأة الاحتياج للمياه هو أن غالب بيوت الكويت فيها آبار يستعمل ماؤها لغير الشرب لأنه مج. بل مالح، كما وأنه يوجد في غالب البيوت غير الآبار (صهاريج) لجمع ماء الأمطار فيها زمن الشتاء، ويسمونها بركاً، فكل ذلك مما يخفف وطأة الاحتياج للمياه، وذلك بتسليطهم مرازيب الأسطحة على الصهريج، وبعضهم يجعل قطعة كبيرة من الخام كالمظلة (خيمة) يعلقونها في وسط (الحوش) الساحة بعد أن يضعوا في وسطها حجراً أو نحوه لينحصر تشرب ماء المطر إلى محل الانخفاض المتجه نحو فوهة الصهريج (البركة)، فيجتمع الماء فيها مباشرة، فيدخرونه لشربهم زمن الصيف إذا قل الماء.

وإن هذه الآبار والصهاريج موجودة حتى في المساجد والمعامل التي تنشأ فيها السفن الشراعية، والتي تصلّح فيها الجوالات.[١]

وعلى كل، فليس في الكويت عيون جارية، أو آبار غزيرة المياه، أو قصيرة الرشا، بل غاية ما هناك هو أنه توجد آبار يتراوح عمقها بين (١٠- ٢٠) قدماً، وغير عذبة، كما وأن غزارة مائها متوقفة على غزارة الأمطار.

سوى أن قرية الجهرة هي أغزر ماء من غيرها، ثم في سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) جلبوا بعض المياه من الآبار التي في الموضع المسمى (الصليبية)، والتي تبعد عن الكويت بنحو ١٠ أميال، فقد مدوا منها أنابيب حديدية على وجه الأرض إلى المخزن المعد للمياه في داخل العاصمة، وبذلك خفت وطأة أزمة المياه العذبة زمن الصيف.

* * *

الجبال:

يوجد في جنوب الكويت على مسافة نحو ٢٥ ميلاً (جبل أوارة) الذي يقدر ارتفاعه بنحو

(١) الجوالات هو الاسم الذي استعربه النبهاني للسيارات، وسيستخدمه كثيراً في كتابه.

٢٥٠ متراً، والعوام يسمونه (وارة) بحذف الألف، وهو من الجبال المشهورة في حروب العرب.

جبل غضي: شمال غربي العاصمة، والعوام يقولون (إغضي). قال ياقوت في معجمه: الغضي بفتح أوله بوزن ظبي. قال ابن الكميت: قفا الغضي جبل صغير في قول كثير عزة:

كـألم يـدمّـنـهـا أنـيـسٌ ولم يكن لـهـا بـعـد أيـام الـهـدمـلـة عـامـرُ

ولم يعتلج في حـاضرٍ مـتـحـاورٍ قفا الغضي من وادي العشيرة سامرُ

وإن جبل غضي ممتد على الساحل الشمالي من الجون شرقاً وغرباً، وتقدر مساحته من الصبية إلى الجهرة بنحو ٢٨ ميلاً، ويسمى سفحه الذي يلي البحر (الباطن)، وهناك في رأسه الغربي وسفحه الجنوبي على ساحل البحر بلدة كاظمة المشهورة، ويوجد في جنوب الكويت على مسافة نحو ٢٥ ميلاً تلال أوارة، وعلى مسافة نحو ٢٥ ميلاً غربي الكويت تلال مناقيش.

* * *

قرى الكويت:

يتبع الكويت عدة قرى، وأماكن مشهورة ربما كانت مدناً، فدثرت وبقي اسمها، فقسم منها يقع في الجهة الشمالية عن العاصمة، والقسم الآخر، وهو الأكثر كائن في الجهة الجنوبية.

فأما الشمالية، فهي:

١- الرافضية: وهو اليوم موضع على مسافة نحو ٥٠ ميلاً شمال العاصمة.[١]

٢- الحجيجة: بالتصغير[٢]. اسم منزل أو قرية تقع في جنوب الرافضية على مسافة نحو ٨ أميال منها. يقال أن الحجيجة الثعلبية كانت تسكنها، وهي معروفة باسم الحجيجة إلى اليوم، ولها ذكر في حرب البسوس.

(١) ليس في بادية الكويت موضع بهذا الاسم على حد علمي، ولكن هناك «الرافضية». موضع في البادية قرب الزبير، ويبدو أن هناك من ذكرها للنبهاني، ولم يكن مطلعاً عليها، فحسبها شمال الكويت، والصواب أنها واقعة ضمن الأراضي العراقية، وغير بعيدة عن البصرة التي يسكنها النبهاني!

(٢) ذكر لي الباحث الكويتي الدكتور عادل العبد المغني أن صواب اسمها هو «الحجيجية»، وهي موقع شمال غرب الكويت في الجهة الساحلية المقابلة لجزيرة بوبيان، وكانوا يذهبون لها قديماً للنزهة لجودة ربيعها.

٣- مغيرة: اسم قرية كانت آهلة.[١]

٤- الصبيّة: بفتح الصاد وكسر الباء مع التشديد فيهما، وهي من المدن القديمة واقعة على ساحل خليج يسمى (خليج الصبية) في الجهة الشمالية عن الجهرة على مسافة نحو ٤٢ ميلاً من جهة البحر، وقد خربت منذ مئات السنين، وبها بقايا أطلال، ويقال أن الصبية هي من مدن العرب القديمة التي كانت آهلة بالسكان منذ أمد بعيد، وعامرة بالأبنية ورواج التجارة، كما تدل عليها الأطلال الموجودة فيها، وما عثر عليه من الأثار القديمة.

وأما اليوم، فليس بها شيء سوى بعض أبنية بسيطة، ونخيل قليل لبعض التجار الذين يصدرون منها الحصو (صلبوخ) إلى عبادان، ويقال أن سبب تسميتها بالصبية هو أنه كان غالب سكانها من الصابئة، وأنها هي إحدى مدنهم التي بنيت بعد خروجهم من فارس.

ويوجد في غربي الصبية أماكن لها أسماء ربما كانت مدناً أو قرى، وهي: مغيرة - أم ديرة (أو مديرة) - مهراجة (أو مهراوة) - قوفي - رأس قثامة، وهي التي أراد الألمان إيصال السكة الحديدية البغدادية إليها.

كاظمة:

بلدة كاظمة تقع على ساحل الجون المقابل للجهرة عند طرفه الشمالي، ويقال لذلك الجون (دوحة كاظمة)، ويقال أن أبنية كاظمة كانت ممتدة إلى الجهرة، فلذا قال بعض المؤرخين أن الجهرة هي كاظمة أو جزء منها.

ملحوظة:

هو أنه في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) لما فشي خبر اتفاق حصل بين الأتراك والألمان على إيصال السكة الحديدية البغدادية إلى كاظمة قدم الشيخ مبارك الصباح كتاباً إلى شكسبير القنصل الانكليزي في الكويت[٢] بتاريخ ربيع الثاني ١٣١٩هـ (١٩٠١م) احتج فيه على ذلك الاتفاق، فأجابته الحكومة الانكليزية بواسطة رئيس الخليج على تأمينه على الكويت وحدودها التي تدخل من ضمنها كاظمة.

(١) هي المنطقة المعروفة بـ (امغرة) جنوب الجهراء.

(٢) لم يكن في الكويت وقتئذ قنصل انكليزي، وشكسبير تولى هذا المنصب بعد ذلك بعشر سنوات.

وملخص ما قاله المؤرخون هو أن مدّ سكة حديد بغداد له فوائد جمة اقتصادية وسياسية لأن به تصبح آسيا مرتبطة بأوروبا، وكذلك فإن آسيا هي محتاجة إلى الارتباط بجزيرة العرب، وقد اعترضت انكلترا على هذا المشروع من وجهتين، أحدهما قلة مالية الدولة العثمانية في ذلك الوقت، وهو مما يحمل الدولة عبئاً ثقيلاً. ثانياً، وهو أهمها ما عرف من أن غرض ألمانيا الأولى هو سياسي، لأنها كانت تقصد تقويض دعائم النفوذ الانكليزي في الشرق الأوسط، والسبق في خليج البصرة، ثم أخذت نتائج السياسة الألمانية تبدو تدريجياً في خليج البصرة رغم تظاهرها بأن خطتها في الخليج تجارية بحتة.

ولكن انكلترا كانت متأكدة من معرفة مقصد ألمانيا الحقيقي، فإن أعوانها كانوا يتحدثون بالتجارة جهراً، بينما هم يحاولون سراً شراء بعض الأراضي من سواحل الخليج، وكان أول مركز تجاري ألماني وضع في خليج البصرة هو من قبل (فونكهوس وشركاه) من أهل (همبرج). حيث أنه في عام ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) قصدوا بلدة لنجة الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج، ولم يكن أحد من الأوربيين، حتى أن المعتمد الانكليزي هناك كان من العرب.

فبدأ الألمان يتجرون باللؤلؤ والصدف، وكانوا مجتهدين في إخفاء أنفسهم، وتكتم أمورهم، وعدم مخالطتهم لمن يقدم هناك من الأوربيين.

ثم في عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) ولج إلى الخليج طراد ألماني قديم في طريق عودته من الصين إلى ألمانيا، وكان مقصده التفتيش على موضع يصلح لانتهاء سكة حديد بغداد، فمكث هناك مدة حاول في خلالها التسرب إلى داخل شط العرب، فما تمكن.

وفي تلك السنة أيضاً وصل إلى بندر عباس جماعة من الألمان مدّعين بأنهم من علماء الفن، ثم اختفوا بسرعة، ولم تطل إقامتهم هناك.

ثم في سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ترأس الجنرال سيتمريخ المعتمد الألماني في الأستانة لجنة بقصد تفتيش طريق سكة الحديد قبل مدّها، فاجتاحوا آسيا الصغرى من أولها إلى آخرها، وبصحبتهم الملحق الحربي للسفارة الألمانية في الأستانة، ولما بلغوا رأس خليج البصرة ذهب سيتمريخ إلى الكويت. حيث اتجه لحاكمها الشيخ مبارك الصباح، وأخبره أن المقصد إيصال سكة حديد بغداد إلى ضفاف ساحل الكويت، وأنه محتاج إلى شراء أرض عند رأس قثامة تبلغ مساحتها نحو ٢٠ ميلاً مربعاً، فامتنع الشيخ مبارك من الإجابة عن ذلك.

وإن السبب في امتناع الشيخ مبارك الصباح عن إعطاء الألمان ما أرادوه منه هو أنه في

سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) كان قد عقد اتفاقاً سرياً مع انكلترا، وتعهد فيه بأن لا يؤجر شيئاً من أملاكه الكائنة في الكويت، ولا يتنازل عن أي جزء منها لأي دولة أجنبية أو لأحد من رعاياها بلا موافقة انكلترا، وفي مقابل ذلك تعهدت انكلترا له ببعض الشروط التي ارتضاها الطرفان.

وكان هذا الاتفاق هو بعض جواب انكلترا على زيارة غليوم الثاني الألماني للسلطان عبد الحميد الثاني العثماني في سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٩م)، وكان قد أبدى الألمان نشاطاً فائقاً في الخليج حيث شكلوا (شركة فنكهوس) التي بدأت أعمالها بشراء الصدف واللؤلؤ في لنجة، فأصبحت في مدة وجيزة شركة عظيمة ذات فروع عديدة.

٦- الجهرة: بفتح الجيم والهاء أو الجيم فقط، فهي أكبر قرى الكويت وأهمها. واقعة غربي كاظمة، أو هي جزء منها كما تقدم، وهي على مسافة نحو ١٩ ميلاً غربي العاصمة واقعة على ربوة عالية مطلة على رأس الجون المتشعب من جون الكويت الكبير، والمسمى اليوم بدوحة كاظمة، ومن هناك يرى الشخص السفن الشراعية التي تمخر في ذلك الجون.

وكانت الجهرة قبل الإسلام بلدة عامرة، وآهلة بالسكان لأنها كما قلنا تعدّ جزءاً من كاظمة، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الثرى، فإذا ما حفر الشخص بئراً هناك أو شق أساساً للبناء وجد في أعماق الأرض بعض الجدران والحيطان، وآثار العمران ظاهرة، وقد عثر فيها على نقود قديمة من عهد الجاهلية، وعلى بعض الآثار القديمة، كما وأنه قد وجد في بعض الحفريات آجرٌّ قديم، وقبور مدفون فيها أناس وقوف غير مضطجعين.

ويوجد هناك تلال قائمة على أنقاض البلاد القديمة (كاظمة والجهرة) الممتدة طولاً شمالاً وجنوباً نحو ستة أميال، وعرضاً نحو أربعة أميال شرقاً وغرباً.

وقد ذهبنا إليها في ١٦ جمادى الأولى من عام ١٣٦٦هـ (٧ إبريل ١٩٤٧م) في جوال [سيارة]عينه لنا سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح للاطلاع على قرى الكويت وأماكنها، فقطعنا الطريق إلى الجهرة في ٤٥ دقيقة، فدخلنا القرية، وصلّينا العصر في جامعها الكبير، وفيه تقام الجمعة، ولا يوجد في الجهرة مسجد غيره[1]، ثم تجولنا في شوارع الجهرة، فرأينا فيه مقهاتين، وثلاث مخابر (تنانير للخبز)، و٥٠ دكاناً، ومدرسة للمعارف كان تأسيسها عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م)، وتقدر نفوس الجهرة بنحو ١٥٠٠ نسمة، وبيوتها نحو ٢٠٠ دار.

(١) هو مسجد الجهراء القديمة المعروف بالمسجد الكمالي، والذي بناه التاجر يوسف البدر حوالي سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)، وعندما ضاق على المصلين قام أمير البلدة بجمع الأموال من المقتدرين، كما تطوع خلف باشا النقيب ومرزوق داود البدر بالتبرع بنصف التكلفة، وتمت التوسعة، وقد وسع مرتين بعد زمن النبهاني، ويقع في الجهة الجنوبية من السوق القديم، وقرأت هذه المعلومات في لوحة رخامية داخل المسجد.

ويوجد في أطراف هذه القرية عدة بساتين فيها قليل من النخيل، وبينه مزارع للبرسيم (القتّ) والشعير لأن المعول التجاري عليهما، ويفضلونهما على زراعة النخيل، وإن تلك البساتين تُسقى من آبار هناك عمقها نحو ٥ أبوع، وعددها ١٨ بئراً، وقد وضع في غالبها مضخات تحرك بالنفط لجذب الماء لوجه الأرض لتسقى منه تلك البساتين والأنعام والحيوانات الداجنة فقط لأن ماءها مج غير صالح للشرب.

وأما شرب أهل القرية، فهو من آبار متطرفة عن القرية في الجهة الجنوبية الغربية، ويتراوح عمقها بين (٥ - ٧) أبوع، وعددها نحو ١٠٠ بئر، وهي مقسمة طبيعياً إلى ثلاثة أقسام، فالآبار الشمالية وتسمى (مُريطبه) بالتصغير، فماؤها غزير ودائمي لا ينضب، وأما الآبار الشرقية وتسمى (جرثامة) بضم الجيم، وكلاهما لشرب الأنعام قط، والجرثامة في أصل اللغة قرية النمل.

وأما الآبار الجنوبية وتسمى (سُليّل) بالتصغير، فهي عذبة في الجملة، ومنها شرب أهل القرية والأعراب الرحّل الذين يقصدونها للارتواء منها، ولكن ماءها يقلّ ويكثر تبعاً للأمطار وغزارتها.

قال ياقوت أن (الأغدرة جمع غدير الماء، ويقال (أغدرة السيدان)، وهو موضع وراء كاظمة بين البصرة والبحرين أي الأحساء يقارب البحر. اهـ)، فينطبق هذا الوصف على ماء الجهرة، فإذن، فالجهرة كانت مورداً لكاظمة قديماً.

أما أنواع التمر الموجود في قرية الجهرة، فهو: الحلاوي، والسعمران، والفرسي، واللولوى، والخصاب، والقنطار، ونوع كالدقل يسمونه (نُبوتاً) بضم النون والباء، ويعنون بأنه نبت بذاته من غير أن يزرعه أحد. كما يسميه أهل البصرة بالغيباني.

وكل تلك الأنواع تؤكل ثمرتها رطباً لقلته قبل أن يصير تمراً، ولأنهم لا يعتنون بزراعة النخيل خوفاً من أن يكثر، فيظلل الأرض، فتبرد، فيضرّ ذلك بمزروعاتهم (البرسيم والشعير)، ونحوهما كما تقدم.

وأن الجهرة اليوم هي محطة للقوافل الذاهبة للبصرة أو نجد من طريق الحفر، فيزداد سكان الجهرة في زمن موسم ورود الأعراب إليها للمسابلة والاتجار فيها مع الأعراب.

وفي شرقي الجهرة (القصر الأحمر)، وعنده حصلت الواقعة الشهيرة بوقعة الجهرة عام

١٣٣٩هـ (١٩٢١م)[١] بين الشيخ سالم بن مبارك الصباح وفيصل بن سلطان الدويش رئيس عشائر مطير.

وبعد تلك المعركة أمر الشيخ سالم الصباح بتسوير الجهرة، فسوّرت في ١٧ ربيع الأول ١٣٣٩هـ (١٩٢١م)، ولكن لما ذهبنا إليها في رحلتنا الأولى رأينا بأن الأبنية قد تزايدت حتى جاوزت السور، فاندمج قسم من السور بين الأبنية.

٧- قلبان ياسين: أو جلبان ياسين. اسم لآبار بين الجهرة والكويت قيل حفرها رجل يسمى ياسين من عشيرة القناعات، فنسبت له.

٨- رأس عشيرق: بالتصغير. اسم موضع، ويوجد في جزيرة عشيرق بركة ماء بناها على ما يقال سليمان الرشدان العازمي سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م).

٩- خرطمة.

١٠- صليبخات: وقد أنشئ عندها مخفر، وبني أمامه جدار كالسور فيه بابان للقادم من البصرة والذاهب إليها لتفتيش الجوازات، وذلك في رجب ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

١١- جدودية.

١٢- صليبة[٢]: قال ياقوت: (الصليب بلفظ تصغير الصلب جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو بن تميم)، وقال أيضاً: (الصليبة ماء من مياه قشير)، فلعله الماء الذي جلب منه إلى داخل العاصمة.

١٣- الشويخ: تصغير شيخ. اسم لقرية على الساحل، وعندها مرسى حسن، ورصيف متقن واقع غربي العاصمة على مسافة نحو ميل واحد عن سور العاصمة الثالث الحديث، وعنده المحجر الصحي القديم.

وقد خصص الشويخ أخيراً، وجعل مركزاً لما تجلبه شركة النفط الكويتية الأمريكية، وقد أنشئ على الساحل رصيف حسن محكم البناء، وعلى حافته الرافعات الكهربائية لنقل الأثقال من السفن أو تحميلها إليها.

(١) الصواب أن تلك المعركة وقعت سنة ١٩٢٠م.

(٢) المشهور نطقها بلفظ «الصليبية»، وهي منطقة مزارع مشهورة في الكويت، وقريها أقيمت منطقة سكنية حملت ذات الاسم.

وبه مخزن كبير للنفط المجلوب من عبادان، وذلك قبل استعمال النفط الكويتي، وبه أيضاً مخزن آخر للماء المجلوب من البصرة، ثم يتسرب الماء من ذلك المخزن في أنابيب إلى الموضع المسمى (مَقوَع)، وهو محل عمال النفط، وقد اتخذته إدارة شركة النفط الأمريكية مركزاً لمعداتها، وبنوا أيضاً على ساحله أبنية حسنة، ومخازن كبار، ومستودعات ضخمة، ودوراً للشركة والعمال، وإن هذا المحل له مستقبل حسن ربما يصبح في مدة وجيزة قرية عامرة أو مدينة نضرة.

وفي شرقي الشويخ مرسى تلجأ إليه السفن الشراعية إذا أصابتها ريح عاصفة.

فهذه هي قرى الكويت وأماكنها الشمالية المشهورة.

* * *

قرى الكويت الجنوبية:

الساحلية:

١- رأس العجوز.

٢- الشِّعْب: اسم موضع على آخر جون صغير هناك على مسافة نحو ٣ أميال جنوب العاصمة، وبه ماء عذب، وقد بنى فيه المغفور له الشيخ سالم بن مبارك الصباح قصراً، ثم بعد وفاته جدّد بناءه نجله سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح.

٣- دمنة: قرية واقعة على ساحل البحر جنوب العاصمة على مسافة نحو ٥ أميال منها، وهي مربع لبعض الذوات من أهل الكويت، وكان يسكنها قديماً صيادو السمك، وغالبهم من عشائر العوازم الذين استوطنوها في أوائل القرن ١٤هـ (٢٠م)، وهم من أهل السنة والجماعة مالكيّو المذهب، وجعلوا يبنون فيها الدور والمنازل، وتقدر نفوسها بنحو ٣٠٠ شخص.

وبها جامع تقام فيه الجمعة أسسه محمد المدعج[١]. ثم لما تداعت أركانه جدد بناءه المغفور له سمو الحاكم الشيخ أحمد الجابر الصباح[٢] عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م)، وزاد في مساحته

(١) هو محمد بن مدعج بن مبارك بن مدعج العازمي. نوخذا ومحسن توفي في ١٨ يناير ١٩٦٨م (٨ شوال ١٣٨٧هـ) عن عمر قارب المائة. راجع: طلال الرميضي، أعلام الغوص عند قبيلة العوازم، ص٢١٤.

(٢) هذا غريب، فالشيخ أحمد الجابر توفي في ٢٩ يناير ١٩٥٠م بينما الكتاب مذكور على غلافه أنه مطبوع سنة ١٩٤٩م، ويبدو أن

زيادة حسنة.

ثم في سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) فتحت المعارف في دمنة (مدرسة ابتدائية) زمن إدارة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وقد دعانا للاطلاع على موقعها، وما اشتملت عليه عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وأولم لنا وليمة فاخرة هناك.

٤- العقيلة: قرية العقيلة بالتصغير واقعة على مسافة نحو ٣ أميال[١] جنوب العاصمة.

٥- الرأس: الرأس هو أنف من أرض منبسطة في جنوب العاصمة على مسافة نحو ٦ أميال منها، وهو واقع بين دمنة والبدع، وعنده قرية منشأة بالأكواخ (عشش)، وفيها بعض بساتين صغار عند منتهى الساحل الشرقي، ثم يبتدئ من هناك الجون منعطفاً، ومتجهاً نحو الغرب، وعنده قرية دمنة المتقدم ذكرها.

ويوجد على الرأس المنارة التي وضعتها عليه شركة الملاحة البريطانية زمن الشيخ مبارك الصباح، وأن الموكل بإصلاح تلك (المنورة) هو الشخص المتعهد (الضامن) لصيد السمك في تلك الجزيرة.

٦- البدع والنقفة: قرية البدع واقعة خلف الرأس، وعنده القرية المسماة النقفة[٢]، وهما قريتان صغيرتان يتربع فيها بعض الأهالي زمن الربيع.

٧- فنطاس: قرية. يطلقون كلمة (فنطاس) على وعاء الماء الخشبي المتحرك كالبرميل ونحوه. ثم سموا به هذه القرية الواقعة على الساحل على مسافة نحو ١٧ ميلاً جنوب العاصمة، وذلك لوجود آبار غزيرة المياه فيها، وتقدر نفوسها بنحو ١١٠٠ نسمة، وبيوتها بنحو ٣٠ بيتاً، وجملة طوائف أكواخ، وبها جامع للجمعة، ومدرسة للمعارف، وعدة آبار وبساتين ذات نخيل وأثل وشيء من سدر قليل، ويزرع بجانب تلك الأشجار بعض المخضرات كالباذنجان الأسود، والأحمر (طماطه)[٣]، والباقلاء (فول)، والبصل، والكراث، والقثاء، والخيار،

النبهاني أضاف هذه الجملة خلال مراجعة البروفة الأخيرة للكتاب، وبالتالي، فيمكننا الجزم أن هذا الجزء طبع في أوائل ١٩٥٠م، وليس في السنة السابقة لها كما ظهر على الغلاف، وسيتكرر ذلك عدة مرات في هذا الجزء.

(١) العقيلة أبعد من ذلك، ولا تقل المسافة بينها وبين العاصمة عن ١٥ ميلاً إلى الجنوب.

(٢) هي المشهورة بـ (النجفة). موقع على الشاطئ جنوب السالمية.

(٣) اسم طريف لنبتة الطماطم، وهو الباذنجان الأحمر!!، وللنبهاني حق في ذلك لأن الطماطم والبطاطس والباذنجان كلها من فصيلة نباتية واحدة هي فصيلة الباذنجانيات.

وفي غربيها قرية فنيطيس.

٨- مَسيلة: قرية مسيلة بالفتح ثم الكسر تقع في جنوب العاصمة، ويربع فيها بعض الأهالي، ومن آل صباح سمو الشيخ فهد السالم الصباح، وله بها قصر حسن بناه حديثاً عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وأن سمو الشيخ فهد نشأ على حب العلوم والمعارف، وقد ارتحل في طلب العلم إلى البصرة زمن شبابه عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م)، وإنه لذو فكرة وقادة، وذكاء مفرط مع بشاشة يخالطها وقار وهيبة، وإنه لحسن المجالسة، ومحب للتاريخ وأخباره، فلا تمل مجالسته.

٩- أبو حليفة: قرية أبي حليفة بالتصغير واقعة على الساحل في جنوب فنطاس على مسافة نحو ٣ أميال منه، وتبعد عن العاصمة بنحو ٢٠ ميلاً، ونفوسها نحو ٤٠٠ نسمة، وبها جامع للجمعة، ومدرسة للمعارف، ويوجد عندها مزارع فيها بعض نخيل وقليل من السدر وبعض المخضرات.

١٠- فحيحيل: لعله تصغير فحل على غير قياس، أو تصغير المصغّر (فحيل)، ولكن المصغر لا يصغر مرة ثانية، وهو اسم قرية على الساحل على مسافة نحو ٢٥ ميلاً جنوب العاصمة، وهو اليوم مجعول لتصدير النفط الكويتي لأن ميناءه حسنة، وتقدر نفوسها بنحو ٧٠٠ نسمة، وبها جامع للجمعة والصلوات الخمس، ومدرسة للمعارف، وبها بساتين قليلة فيها نخيل وأشجار وسدر، ويزرع فيها الباذنجان الأسود، والأحمر (طماطه)، وشيء قليل من المخضرات، وعليها سور متهدم تداعت جوانبه، فترك لأنه لما كثر سكان القرية جعلوا يبنون بيوتهم خارج السور، وبالأخص في الجهة الشمالية، ثم في سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) تقرر جعل ميناءها مرساً رسمياً للبواخر مطلقاً، وترك مرسى الكويت القديم، وجعل هو أيضاً لتصدير النفط منه للخارج.

١١- المنقف: اسم قرية أو موضع يقرب من فحيحيل على ربوة يربع فيها الناس زمن الربيع.

١٢- الشعيبة: بالتصغير. اسم قرية تقع على الساحل، وهي أقصى قرى الكويت من جهة الجنوب على مسافة نحو ٣٠ ميلاً من العاصمة، وبها جامع للجمعة، ولكن لعدم وجود وسائط النقل قلّ سكانها، فتقدر نفوسها اليوم بنحو ١٠٠ شخص، وبيوتها بنحو ٣٠ بيتاً. أما في زمن الربيع، فيقصدها كثير من الناس للتنزه فيها والتربيع بها لحسن هوائها، ويوجد في الناحية الغربية منها بعض أشجار من النخيل والسدر وقليل من الأثل.

وفي شماليها مرسى للسفن البخارية التي تنقل من هناك نفط الكويت غير المصفّى، وتسافر به إلى الخارج للتصفية.

وبقرب الشعيبة مقبرة قديمة لا يشبه وضعها القبور المعروفة في تلك الأنحاء، وربما تكون قديمة جداً قبل الإسلام بزمن بعيد. كما وأنه يوجد على الساحل هناك عدة مواضع بأسماء مخصوصة معروفة لديهم.

١٣- قلعة العبيد: أو قليعة بالتصغير، وهو اسم موضع جنوب الشعيبة واقع على متن تل صخري هناك، ويقال أنه كان في ذلك الموضع تل صخري هناك، ويقال أنه كان في ذلك الموضع قلعة صغيرة بناها البرتغال[1] حينما كانوا متسيطرين هناك، وجعلوا فوق القلعة مصباحاً تهتدي به السفن ليلاً، وكان المحافظون على ذلك المصباح حرس من العبيد، فلذا قيل لها قلعة العبيد.

١٤- قلعة الأحرار: اسم موضع آخر على أرض منبسطة تلقاء قلعة العبيد كان بها قلعة فيها جنود أحرار من قبل البرتغاليين لحفظ الأمن براً وبحراً زمن تسيطرهم في تلك الأصقاع، وهي آخر حدود الكويت من جهة الجنوب.

ثم توجد هناك على الساحل عدة مواضع بحرية، وهي تعتبر مراسي للسفن الشراعية يلجأ إليها الغائصون على اللؤلؤ إذا أصابتهم ريح عاصفة، وجاءهم الموج من كل جهة، فيلجأون إلى تلك الأماكن المعروفة لديهم بأسماء مخصوصة، ومن تلك المواضع الزور الجنوبي عند الحدود الجنوبية، وهو آخر المواضع المجعولة مرسى للسفن هناك، وهو غير الزور الغربي الذي هو عند الجهرة، والذي ربما قيل له المطلاع أو لياح.

فهذه هي القرى والأماكن الواقعة على الساحل في جنوب العاصمة.

* * *

القرى الداخلية أو المتوسطة:

١- حَوَلّي: بفتح الحاء والواو وتشديد اللام المكسورة، وربما عبر عنها بحولي البرّ، وهي قرية تبعد عن الساحل بنحو ٢ ميلين، وتبعد عن العاصمة بنحو ٥ أميال، وسميت حولي

(١) الزعم بوصول النفوذ البرتغالي إلى الكويت يحتاج إلى تحقيق تأريخي، وليس عليه إثبات من وقائع التاريخ، وما نرجحه أن هؤلاء الأحرار والعبيد من أتباع إمارة بني خالد زمن الجبور أو آل غرير، فهذا ما يتناسب مع تاريخ المنطقة قبل وصول العتوب إليها.

(بمعنى حلو) عامية مصطلح عليها في الكويت (على غير قياس)، وذلك لأنهم لما عثروا هناك على آبار ماء حلوة عذبة بعد مجهودات دامت زمناً، فقالوا وجدنا ماءً حولّي بمعنى حلو، وذلك عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م).

ثم أنشئت عند تلك الآبار قرية، وسميت حولي، وقد اتخذها سمو الحاكم الشيخ أحمد الجابر الصباح مربعاً له، وبنى فيها قصراً فخماً يسمى بياناً[١]، وأن غالب الأهالي تربع في حولي لقربها من العاصمة لطيب هوائها، وحسن مناخها.

وبها مسجدان أحدهما أنشأه سمو الحاكم الشيخ أحمد الجابر الصباح عام ١٣٤٩هـ (١٩٣١م)، وقد ذهبنا للسلام على الحاكم في هذه القرية في ١١ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (٢ أبريل ١٩٤٧م)، فرأيناها، وما اشتملت عليه.

وبقرب حولي أو متصل بها موضع يقال له النقرة، فيه بعض البيوت، فيتخذه الأهالي مربعاً لهم زمن الربيع.

أما حولي البحر، فهو اسم لموضع في البحر في أماكن مغاصات اللؤلؤ سمي أخيراً (حولي البحر)، حيث أن الغائصين هناك على اللؤلؤ عثروا عليه، فوجدوا فيه كثيراً من الصدف الحاوي لكثير من اللؤلؤ في تلك السنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، فقالوا: (ظفرنا بحولي البر وبحولي البحر): أي مياه البر ولؤلؤ البحر في سنة واحدة.

٢- السرة: أو جبل السرة بضم السين وتشديد الراء. اسم جبل صغير كالكثيب واقع في وسط أرض واسعة الفضاء، ويبعد عن العاصمة بنحو ٧ أميال جهة الجنوب الغربي.

وقد بنى الشيخ مبارك الصباح في أعلاه قصراً، وسماه مشرفاً، لأنه يشرف على البلدة وأرباضها، وعلى بعض السواحل، واختار ذلك الموضع لحسن مناخه، وطيب هوائه، وموقعه الجغرافي الحسن.

ويوجد في السرة آبار ماء عذبة، ثم أن ابنه سمو الشيخ عبد الله المبارك هدم ذلك القصر، وجدد بناءه على الطراز الحديث عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)، وجهزه بالقوة الكهربائية، ووضع فيه مذياعاً له بعد أن فرشه بأحسن الأثاثات الفاخرة الحديثة، ثم في عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) أوصل إليه الندى (السماعة/ التليفون) من العاصمة، فأصبح ذلك القصر يشار إليه

(١) يقع قصر بيان في موضع مستشفى مبارك الكبير جنوب حولي حالياً، وهو يتبع منطقة الجابرية السكنية.

بالبنان، وعنده أصائل الخيل، ونجائب الإبل.

وقد دعانا سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح لزيارته في ذلك القصر مرتين في عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وأدب لنا مأدبة شائقة فيه.

وإن سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح ذو فكرة وقادة، ونظر بعيد مع نشاط حيوي، وهو التصدي لأنظمة الوطن، وراحة الأهالي مع تفقد ذويه من آل صباح قاصيهم ودانيهم، وقد منح الوسام (س. آي. بي) من الحكومة البريطانية، لعله عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م).

٣- السريرات: جمع لمصغر السرة، وربما عبر عنها بالمسرة أيضاً، وهي ربوة عالية في الشمال الشرقي عن السرة المتقدم ذكرها، وأن موقع السريرات حسن طبيعياً لا سيما نقاوة الهواء، وفسح أرجائها، وقد شيد في أعلاها سمو الشيخ عبد الله الجابر بن صباح الثاني آل صباح[١] قصراً في عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وجهزه بالقوة الكهربائية، ووضع فيه مذياعاً ونادياً (سماعة) تليفون بعد أن فرش جميع حجره بأحسن أنواع الفرش الحديثة، والأثاثات المنيفة الفاخرة على الطراز الحديث، وعلق على جدران الحجر أنواع المفارش (زوالي) إيرانية أي سجاجيد صوفية نادرة الوجود حاوية لمناظر تاريخية عجيبة، وصور بعض الملوك والغابات، وفي وسط إحداها دائرة مرسوم فيها أشكال البروج السمائية من حيوانات كالجدي والحمل، والآلات كالقوس والميزان بألوانها الطبيعية مع كتابة الاسم في أصل النسيج.

وقد دعانا لزيارته في ذلك القصر في ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (١٠ إبريل ١٩٤٧م)، وأدب لنا مأدبة فاخرة حضرها جماعة من وجهاء البلدة وبعض الأعيان وأعضاء المحكمة.

وإن سموه لذو خلق عظيم يعجز القلم عن وصفه مع تواضع يعلوه هيبة ووقار، وهو بشوش المحيا. حسن المجالسة. بعيد النظر في الأمور السياسية، وقد خدم وطنه أجلّ خدمة، وله خبرة واسعة بقبائل العرب وشئونها قديمها وحديثها، وله اطلاع فائق على سير الحوادث في داخل جزيرة العرب، كما وأنه ترأس محاكم شرعية ومدنية في الكويت، وقد منح الوسام (C.I.E) من حكومة بريطانية عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) تقديراً لخدماته الجليلة نحو وطنه.

وكانت ولادته أمدّ الله في سني حياته عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)[٢]، وله أربعة أبناء[٣]، وهاك

(١) الشيخ عبد الله هو ابن جابر بن عبد الله ابن حاكم الكويت الخامس الشيخ صباح الثاني.

(٢) توفي الشيخ عبد الله الجابر سنة ١٩٩٦م.

(٣) للشيخ عبد الله أبناء كُثر ولدوا بعد تأليف هذا الكتاب.

أسماؤهم مع تواريخ ولادتهم:

١٣٤٧هـ (١٩٢٩م): سمو الشيخ جابر.

١٣٥٠هـ (١٩٣١م): سمو الشيخ صباح.

١٣٥٣هـ (١٩٣٤م): سمو الشيخ مبارك.

١٣٦١هـ (١٩٤٢م): سمو الشيخ علي.

وكلهم ولله الحمد أقمار ساطعة، ونجوم زاهرة طالعة.

٤- فنيطيس: تصغير فنطاس. اسم قرية على ربوة عالية شمال فنطاس، وتقدر نفوسها بنحو ٤٥٠ شخص، وبيوتها نحو ٨٠ بيتاً، وهي مربع لبعض الكويتيين زمن الربيع، وبها مزرعة صغيرة، وأشجار كبار من سدر وأثل ونحوهما.

٥- المعدنيات: اسم موضع ينزله الحجاج القادمون من الحجاز، وهو يبعد عن الكويت بنحو ٩ أميال، ويقال في سبب تسميته أن أرضه بها معدن الكبريت، ويستدلون لذلك بأن الأعراب إذا أصاب أنعامهم مرض أخذوا تراباً من أرض المعدنيات، ووضعوه في الماء، ثم يسقونه للأنعام المصابة، فإنها تبرأ بإذن الله.

ومعلوم أن الكبريت له دخل في الأمراض الجلدية، وبالأخصّ جرب الجمال. كذلك يوجد في جنوب المعدنيات في الأرض السعودية موضع يقال له (أبرق الكبريت) قرب القرية المسماة (قرية).

وقال ياقوت: أبرق الكبريت موضع كان به يوم من أيام العرب. قال بعضهم:

على أبرق الكبريت، قيسَ بن عاصمٍ أسرتُ وأطــراف القنا قُـصَّـدٌ حمرُ

٦- المقوع: اسم موضع في أرض واسعة، ويطلقون ذلك اللفظ على محل مجتمع الماء كالغدير ونحوه، وكانت تلك الأرض تسمى (مَلَحاً). ثم خصصوا قسماً منها، وسموه مقوعاً، والقسم الآخر أطلقوا عليه اسم الأحمدي.

أما المقوع، فعنده آبار النفط، ومن هناك يتسرب النفط في أنابيب ماراً على وسط المقوع متجهاً نحو الأحمدي.

وإن عدد الآبار التي رأيناها هناك عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تسعة آبار فقط، وهي واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من المقوع، وهي المستعملة في ذلك التاريخ.

٧- البرجان: أو البرقان. يطلقون هذا اللفظ على محل آبار النفط، فهل هو مثنى برج، أو جمع أبرق، أو جمع إبريق على غير قياس، أو تحريف بركان لأن الجبال البركانية تكون غالباً في الأراضي التي يوجد فيها النفط، أو هو أي ذلك الموضع كان منزلاً للبرجان، وهم بطن من العرب ذكرهم الحمداني.[١]

وفي الشمال الغربي عن آبار النفط (جبل أوارة)، وارتفاعه نحو ٢٥٠ متراً.

- الأحمدي: نسبة للحاكم الشيخ أحمد الجابر الصباح، وكان قبلاً يسمى الظهر، ثم دعي بعد ذلك بالأحمدي لأجل التفرقة بينه وبين ظهران الذي فيه النفط السعودي الأمريكي[٢] أيضاً.

وفي الأحمدي جملة أحواض حديدية كبار لخزن النفط يقدر ارتفاع كل واحد منها بنحو ١٦ متراً، وقطره نحو ١٠ أمتار، يأتيها النفط متسرباً في أنابيب إليها مباشرة من الآبار.

ويوجد بقربها حي للعمال أنشئ على الطراز الحديث، ومجهزة أماكنه ودوره المعدة لسكنى العمال ورؤسائهم بالقوة الكهربائية والماء والثلج، ومفروشة بالأرائك والمناضد حسبما يرام.

ويؤمل بأن يصبح ذلك الموضع مدينة عامرة أو قرية حسنة على ممر الأيام حيث لا يزال إنشاء الأبنية مستمرة فيه بصورة متواصلة، وأنهم قسموا ذلك الموضع إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم جعل خاصاً لسكنى الأمريكانيين في الجهة الغربية.

٢- قسم جعل لسكنى العمال الهنود في الجهة الشمالية.

٣- قسم جعل لسكنى عمال العرب من العراقيين وغيرهم، وهو في الجهة الشرقية.

---

(١) وضع النبهاني هنا خمسة احتمالات لمصدر اسم البرقان، وترك قارئه مختاراً فيما بينها، وما أرجحه أن البرقان جمع للأبرق، وهو المرتفع الصغير ذو الأحجار مختلفة الألوان.

(٢) يقصد أن النفط الكويتي والسعودي تسيطر على استخراجه في ذلك الوقت شركة أمريكية.

٨- مَلَح: قال ياقوت: ملَح بالتحريك موضع في ديار بني جعدة باليمامة، ويحتمل أن ملحاً الذي يتبع الكويت غيره، لأن هذا هو اسم موضع فيه آبار عذبة، ومزرعة مسورة، وفيها قليل من الأشجار الكبار كالسدر والأثل، وعنده حصلت وقعة ملَح التي حدثت بين السعوديين والعجمان عام ١٢٧٦هـ (١٨٦٠م).

٩- القرين: قال ياقوت: (القرين كأنه تصغير قرن، وقرين نجدة هو باليمامة قتل عنده نجدة الحروري)، وأما القرين هذا، فهو اسم موضع واقع في الغرب الجنوبي عن الشعيبة، أو في جنوب البرقان، ويطلق على اسم جبل صغير هناك، وعنده آثار بلدة قديمة خربت منذ ٢٠٠ سنة تقريباً على ما يقال أي منذ عام ١١٦٨هـ (١٧٥٥م) كان قد نزلها آل صباح عندما قدموا من نجد.

وإن أطلالها باقية إلى اليوم، وهو غير القرين الموضع المعروف في جزيرة فيلكا الكائن في الجهة الشمالية الشرقية من الجزيرة.

١٠- الصبيحية: بفتح الصاد. اسم موضع معلوم من قديم الزمان واقع في الجنوب على مسافة نحو ١٥ ميلاً، فيها مورد ماء يقطنها الأعراب زمن الصيف، ويقال أنها سميت بذلك نسبة إلى عشيرة صبيح من عشائر بني خالد الذين كانوا يقطنون هناك.

* * *

الأماكن المشهورة في الكويت:

ليس في الكويت مدن كبار سوى العاصمة، وما ذكرناه من القرى، ويوجد في باديتها عدة أماكن مشهورة بأسماء قديمة، ولا نعلم فيما إذا كانت تلك الأماكن هل هي مدن أو قرى، وقد خربت ودثرت بمرور الأزمان كالوبرة والخبرة وأم الرؤوس.

وإن غالب تلك الأسماء هي باقية على أماكنها لوجود آبار المياه فيها، وتردها الأعراب، وأشهر الأماكن التي في الجهة الشمالية هي الباطن في الزاوية الشمالية، وهي قسم من الوادي العظيم المسمى بالباطن أيضاً الكائن في ملتقى الحدود العراقية النجدية.

واشتهر أيضاً من المواضع (الشق، والشقيق، ولياح أو اللياح، وقرعة، ومرو، والزجلة)، وكلها أراض قفرة، وأما (كبدة، وقارة، والعدان، والهزيم، والدبدبة)، فكلها أسماء لأماكن مقفرة ينزلها الأعراب الرحّل وقت الكلأ والانتجاع.

وأما خيطان، وأبرق خيطان، فهما موضعان فيهما آبار مياه يزرع على جانبيهما القمح أي الحنطة (حب وبُرّ) على ماء الأمطار بعد كراب الأرض، وكذلك العديلية الواقعة شرقيهما، فإن فيها آبار يزرع بجانبها الحنطة أيضاً على الأمطار.

فهذه هي القرى والأماكن البرية المشهورة عندهم، وأما الجزر فكما يأتي:

* * *

الجزر البحرية:

١- جزيرة وربة: هي واقعة في الجهة الشمالية عن العاصمة، وهي على شكل مثلث منفرج الزاوية، ومتصل بها عدة جزر صغار، فطول وربة ذاتها نحو ٧ أميال في عرض ٤ أميال، ويوجد فيها آثار أبنية تدل على أنها كانت مسكونة قديماً، وهي محصورة بين جزيرة بوبيان من جهة الجنوب، وسواحل البر المتصل بالفاو من جهة الشمال، فيحدها شمالاً خور شطانه، وغرباً خور سكا[١]، ويقع خور عبد الله جهة الغرب الشمالي عنها، ويوجد بجانبه خور آخر صغير يقال له (خور مغوي) لأنه يغوي الملاحين، فيظنونه بأنه هو خور عبد الله.

٢- جزيرة بوبيان: وهي أكبر جزر الكويت واقعة في جهة الشمال في جنوب جزيرة وربة، ويحدها غرباً هور الصبية، فطول بوبيان نحو ٢٤ ميلاً، وعرضها ١٣ ميلاً، وفي سواحلها مصائد للسمك أي (حضور وميلان)، وهي مع كبرها خالية من السكان لعدم وجود ماء فيها للشرب، وإنما يأتيها زمن الصيف بعض أفراد من عشيرة العوازم لصيد السمك.

وإن رأسها الجنوبي الغربي يسمى رأس البرشة، ويقال أنه يوجد في الجهة الشمالية من بوبيان آثار جداول دارسة، وآثار خورين يقال لأحدهما خور الملح، والآخر أكبر منه، فيستدل من ذلك على أنها كانت آهلة بالسكان قديماً[٢]، ولكن لا نعلم من أين كانوا يشربون لبعد المياه عنها.

وكانت جزيرة بوبيان هي منشأ النزاع بين الشيخ مبارك الصباح، وبين الدولة العثمانية، وذلك أنه في أواخر عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) وضعت الحكومة العثمانية نقطاً عسكرية من الجنود في جزيرة بوبيان، وفي أم قصر، وفي سفوان لأنها تعتبر تلك الأماكن داخلة في حدود

(١) خور شطانه يذكر في المعاهدات الحدودية باسم خور شيطانة، أما خور سكا، فلم أسمع به.

(٢) لا نرى وجهاً لهذا الاستدلال، فما علاقة وجود هذه الأخوار المالحة بالعمران السكاني؟

العراق.

ثم في محرم ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) قدّم الشيخ مبارك الصباح إلى الحكومة العثمانية بواسطة والي البصرة مصطفى نوري باشا احتجاجاً على ذلك العمل مظهراً فيه بأن تلك الأماكن هي داخلة في منطقة الكويت، وليست عراقية، فلم تجبه الدولة العثمانية على ذلك، وظلت النقط العسكرية مرابطة في الأماكن المذكورة إلى زمن الحرب العظمى الناشبة من عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) حيث انسحبت الدولة العثمانية من العراق أجمع.

ويوجد في جون الشويخ جزيرتان، فالكبرى منهما تسمى أم النمل، وهي في جهة الغرب الشمالي عن الكويت واقعة في الجون الذي في رأسه مرسى الشويخ، ويوجد في جزيرة أم النمل بركة ماء يقال بناها سليمان الرشدان العازمي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م).

والثانية وهي الأصغر، وتسمى جزيرة الشويخ بالتصغير، فهاتان الجزيرتان واقعتان غربي شمال كاظمة، وفيهما (حضور وميلان) لصيد الأسماك، ويسكنهما أناس في الأكواخ، وربما ذهب إليهما أهل الكويت ليلاً زمن الصيف، وعادوا نهاراً لطيب هوائهما.

٣- جزيرة مسكان: واقعة في جنوب، وهي جزيرة صغيرة طولها نحو ٧٥٠ باعاً، وعرضها نحو ٤٠٠ باع، وهي واقعة شمال فيلكا على مسافة نحو ميلين بينهما، وتبعد عن العاصمة بنحو ١٥ ميلاً جهة الشرق الشمالي، وفيها (منورة) مصباح يهتدى به ليلاً، وهو موضوع على جهتها الشمالية أمام خور الصبية، وكان قد وضع هناك من زمن الشيخ مبارك الصباح عام ١٣٢٦هـ (١٩١٨م).

٤- جزيرة فيلكا: فيلجا، قديمة جداً، ويقال إن لفظة (فيلكا) يونانية قديمة بمعنى سعيد أو سعيدة. قالوا، وكانت تسمى (الجزيرة البيضاء)، ولم يذكرها ياقوت في معجمه، وهي أكبر الجزر بعد بوبيان، وتقع في جنوب جزيرة مسكان على مسافة على نحو ميلين بينهما، وتبعد هي ذاتها عن العاصمة بنحو ١٥ ميلاً، وطولها نحو ٨ أميال شرقاً وغرباً، وعرضاً نحو ٣ أميال في بعض المواضع.

وإن ساحلها الغربي آهل بالسكان لمواجهته العاصمة، ويسمى ذلك القسم العامر الزور، وغالب سكانه الأصليين هم من فارس، ثم سكن معهم العرب من العشائر المعلومة لدى النسابين، وهم يشتغلون بالغوص لاستخراج اللؤلؤ.

وقسم من السكان يمارسون صيد الأسماك فقط، وتقدر نفوس الجزيرة بنحو ألفي نسمة، وبيوتهم بنحو ٢٥٠ بيتاً عدا الأكواخ (الصرايف)، وبها ثلاثة مساجد، وجامع واحد تقام فيه الجمعة.

وكان في جزيرة فيلكا عدة مدن وقرى، ولكنها خربت، ثم دثرت، ولا نعلم بالوقت الحاضر عن سبب خرابها وتدهورها، ولم يبق من تلك المدن سوى الطلل.

فمن مدنها القديمة أو قراها:

١- الصباحية، وهي في الرأس الغربي الجنوبي، وبها مقبرة واسعة وقديمة جداً.

٢- الدشت، وهي في جنوب الخضر.

٣- القرين، بالتصغير في الجهة الشرقية الجنوبية.

٤- السعيدة، وبها سميت الجزيرة السعيدة.

فهذه البلدان باقية أطلالها إلى اليوم، وأن القسم المكون اليوم والمعمور يسمى (الزور) كما تقدم.

وقد عثر الشيخ سالم الحمود الصباح في جزيرة فيلكا عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) عندما كان يشق أساساً للبناء في الجهة الجنوبية الشرقية من قرية الزور على مسافة نحو ٧٠٠ متراً، عثر على صخرة أثرية قديمة جداً مكتوب على تلك الصخرة كتابة مقدونية قديمة، وبعد الفحص الشديد من علماء دار الآثار في لندن حلت كتابتها، وعلم بأنه يرجع تاريخ الكتابة إلى ما قبل الهجرة والميلاد بنحو ١٠٢٦ ق.هـ (٤٠٤ ق.م)، كما وأن بعض المحققين رجحوا بأن وجود ذلك الشخص الذي كتب تلك الصخرة كان موجوداً قبل المسيح بأكثر من قرن.

وإن صورة الصخرة مرسومة، ومكتوبة سبعة أسطر، وهاك نص الترجمة التي تحصلنا عليها من قبل معتمد بريطانيا في الكويت:

اللفظ	الترجمة
سوتيليس /	اسم الرجل

أثني / أي من بلدة أثينا عاصمة اليونان

وأويسترا / اسم زوجته أو خادمته

إلى / يقدمان إلى المخلص (نجم السماء)

المخلص زيوس / وهو زيوس (أي المشترى) إله البحر عند اليونان

برسيد ون / برسيد ون إلاه ثاني. إله

ارتونيس / ارتونيس أو ارتونيز إله ثالث

المخلص عنا / وكلها أسماء آلهة عند اليونان معلومة لديهم

وخلاصة ما قاله علماء (دار الآثار) في بريطانية، هو أن هذا الشخص الكاتب للصخرة هو رجل من أهل أثينا عاصمة اليونان، قدم إلى الكويت قاصداً هذه الجزيرة، فأصابه طوفان في عرض البحر كاد أن يغرق هو ومن معه، فلما نجوا كتب تلك الحجرة إجلالاً إلى (إله البحر) الذي نجّاه من الغرق، وقدمها إلى المأثر الموجود في جزيرة فيلكا، لأن تلك الجزيرة هي مقدسة عند القدماء منهم، ومن غيرهم، كما علم ذلك من عدة مباحث ذكرها المؤرخون، وكان عنده السواح يقصدونها من أقصى البلدان لعلمهم أن إله البحر مقره في هذه الجزيرة، وهذا دليل على قدم عمران أراضي الكويت، وجزرها من قديم الزمان.

بل قالوا أن من جملة المدن والبلدان القديمة التي في خليج البصرة (خليج فارس) هي أرض الكويت، والبلدان المنبثة في أصقاعها، فإنها كانت مسكناً ومأوى للفينيقيين عندما نزحوا من شمال جزيرة العرب إلى سواحل الخليج.

ثم استوطنها كثير من العرب، فتارة يستقلون بها تمام الاستقلال، وطوراً يتسيطر عليهم بعض الدول الكبار أو الملوك المجاورين لهم كما ذكرنا ذلك عند الآثار القديمة.

حالة فيلكا الطبيعية والاقتصادية:

يوجد في فيلكا عدة آبار قريبة الرشا (والتناول بالدلاء)، ويزرع فيها الحنطة (قمح، حب،

بُر)، والشعير، وبعض المخضرات، وبعض الفواكه كالجزر الأسود[1] والخيار والقثاء والبطيخ الأصفر فقط.

٥- جزيرة عشيرق: بالتصغير، هي شبه جزيرة صغيرة المساحة واقعة في الجون، وفيها أناس (حجارون) مهنتهم تكسير الصخور منها، ثم نقلها إلى العاصمة للبناء، وهم يسكنون في الأكواخ، ويوجد في الجزيرة (حضور) لصيد الأسماك من قبل بعض الأعراب الذين هم من عشائر العوازم، وفيها صهريج (بركة) لحفظ مياه السيول المنحدرة إليها زمن الأمطار، ويقال أن الذي بنى الصهريج هو سليمان الرشدان العازمي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م).

٦- جزيرة عوهة: هي جزيرة صغيرة واقعة في الجنوب الشرقي عن فيلكا، وبينهما نحو ١٢ ميلاً، وطولها نحو ٥٠٠ باع، وعرضها نحو ٣٥٠ باعاً، وهي خالية من السكان، ولكن كانت آهلة بالسكان قديماً لوجود آثار أبنية هناك.

٧- جزيرة كبّر: بضم الكاف، وتشديد الباء. هي أشبه بجزيرة عوهة في المساحة، وتبعد عن فيلكا جنوباً بنحو ٢٠ ميلاً.

٨- جزيرة قاروه: تبعد عن العاصمة بنحو ٥٤ ميلاً، وسميت بذلك لوجود منبع (القار) السيّالي المتدفق منها دائماً على البحر، فإذا أصابه الهواء الشرقي ساقه نحو المرسى المسمى (بنيد القار) لوجود القار الذي يسوقه الهواء وهو طافٍ نحو المرسى على الساحل، وكلمة (قاروه) فارسية نسبة عجمية عوض كلمة (قارية).

٩- جزيرة أم المرادم: هي واقعة في جنوب كبَّر تشبه جزيرة عوهة في المساحة.

فهذه هي الجزر المشهورة ذات الأسماء التابعة للكويت.

* * *

الحكام والأمراء على الكويت، والهجرة إليها:

إن كلمة (الكويت) هي تصغير كوت، وهو لفظ برتغالي بمعنى الحصن والقلعة ونحوهما، وقد كثر استعمال لفظ الكوت بين سكان خليج البصرة (خليج فارس) بعد استيلاء البرتغال على بعض مدن الخليج من عام ٩١١هـ (١٥٠٦م)، وامتد استعمال لفظ الكوت إلى داخل العراق،

(١) الجزر الأسود من أقدم أنواع الجزر التي عرفتها المنطقة، وهو أقل شهرة الآن من الجزر البرتقالي.

وتصرف فيه العرب كتصرفاتهم العربية، فجمعوه على أكوات، وصغّروه على كويت.

وكانت الكويت جزءاً من لواء الأحساء، وقد تداولت السيطرة على أرض الكويت عدة ملوك وحكام وأمراء، وغالبهم من العرب تبعاً للأحساء التي كان يعبر عنها قديماً بالبحرين.

وعلى ذلك، فتكون أرض الكويت وملحقاتها مسكونة منذ أمد بعيد، ثم ازداد سكان الكويت من أهل نجد، وذلك بعد حدوث حروب وفتن وقعت فيما بينهم، فنشأ عن ذلك حصول قحط ومحل وغلاء فاحش في داخل نجد لاشتغالهم بالحروب والفتن فيما بينهم، وذلك من أول القرن ١١هـ (١٧م)، وبالأخص في عام ١٠٨٦هـ (١٦٧٦م) حيث جعلت العشائر والقبائل تنحدر تدريجاً نحو السواحل طلباً للكلأ، ولأسباب المعيشة بالاتجار أو بالكدّ والعمل.

وكان من جملة من انحدر من نجد نحو أراضي الكويت جماعة من بني عتبة، فقد تركوا منازلهم في الهدّار من بلدان الأفلاج من نجد، فمنهم آل خليفة حكام البحرين، وآل صباح حكام الكويت، وجماعة من الجلاهمة والمعاودة وآل زايد والقناعيين، وغيرهم من العرب ذوي الحمولات المشهورة، وأنهم لما انحدروا نحو الكويت كانت بلدة الكويت مسكونة وعامرة بأهلها القدماء كما سيأتي.

وإن البحث في تاريخ آل صباح يشمل تاريخ آل خليفة لما بينهما من روابط النسب والوطن، وقد بلغنا من بعض سكان الكويت بأن أسلافهم سكنوا أرض الكويت من عام ١٠١٩هـ (١٦١١م) بعد مجيء آل خليفة.

كما وأننا قد اطلعنا على ورقة حجة شرعية مكتوب فيها بأن مسجد ابن بحر جدّد بناءه «عبد الله بن علي بن سعيد بن بحر بن خميس بن ثاني بن خميس بن وسيط بن معن» عام ١١٥٨هـ (١٧٤٥م)، وذلك بعد أن تحصل من قاضي الكويت على الإذن ببيع دار كانت موقوفة على ذلك المسجد المذكور، ولما ثبت لدى القاضي خراب المسجد، وخطورة تهوره على المصلين، أذن ببيع تلك الدار ليصرف ثمنها على تجديد وتعمير المسجد المذكور، فبيعت تلك الدار بثلاثين قرشاً، وكانت قيمة القرش في ذلك الوقت تساوي ثلث ريال عربي، فعمر ذلك المسجد عام ١١٥٨هـ (١٧٤٥م).

ومعلوم بأن تقادم بناء المسجد وخرابه لا يكون إلا بعد مرور مدة طويلة من الزمن تقدر غالباً بمائة سنة فأكثر، وقد فهمنا من ذرية ابن بحر بأن ذلك المسجد أنشئ عام ١٠٨٠هـ (١٦٧٠م)، فكأنه عمّر وجدّد بعد مضي نحو ٧٨ سنة من بنائه الأول، وهي مدة معقولة يمكن

فيها ظهور خلل في بناء المسجد المذكور.

فكل هذه الأدلة مما يؤيد عمران الكويت قبل مجيء بني عتبة إليه.

وكان انحدار بني عتبة نحو السواحل في أول القرن ١١هـ (١٧م)، حيث نزل آل خليفة أرض الكويت عام ١٠١٠هـ (١٦٠٢م) على الأرجح، ثم بعد مدة من الزمن ارتحل آل صباح من نجد، ونزلوا قطراً، ثم ظعنوا منه، ونزلوا القرين، وهو في جنوب الكويت، ثم ارتحلوا من هناك، وخيّموا في الصبية، فلعله عام ١١٢٥هـ (١٧١٤م). ثم عادوا، فاستوطنوا أرض الكويت عام ١١٣٦هـ (١٧٢٤م) على الأرجح، ثم تأمروا فيها من عام ١١٦٩هـ (١٧٥٦م) كما سيأتي.

وعلى كل، فإن نزول آل صباح في أرض الكويت كان متأخراً عن آل خليفة حكام البحرين.[١]

ومعلوم بأن أراضي الكويت كانت مدمجة في الأحساء، وواقعة في حدودها الشمالية، وكان حكام الأحساء قد جعلوا لهم هناك حصناً، وسموه كوتاً، وجعلوه كمستودع لذخائرهم، ومركزاً لقوة جموعهم، وملجأ لجيوشهم المحافظين على الحدود هناك، وذلك في زمن إمارة آل زامل إلى أن تقلصت إمارتهم.

ثم لما انتقلت إمارة الأحساء إلى بني خالد[٢] هدموا ذلك الحصن، وأعادوا بناءه، ولكن بشكل أصغر مما كان عليه سابقاً، فعبر عنه الناس بالكويت تصغير كوت لصغر حجمه، فلزمه ذلك الاسم إلى اليوم، وهي كلمة أجنبية كما تقدم.

وقد امتدت سيطرة بني خالد إلى داخل نجد وأطراف العراق، ويقال بأن الذي أمر ببناء الكويت هو عقيل العريعر في عام ١٠٦٠هـ (١٦٥١م)، وقيل أن الذي أمر ببنائه هو براك بن عريعر الخالدي المتولي على الأحساء من عام ١٠٧٩هـ (١٦٦٩م).

وكان قد حصل لبني عتبة في الكويت جاه عظيم، وتفوق باهر بالثروة وحسن الجوار، ففاقوا على من سواهم، وحصل لهم هناك إقبال وتقدم محسوس بين مواطنيهم.

ثم أن آل خليفة ظعنوا من الكويت متجهين نحو الزبارة عام ١١٨٠هـ (١٧٦٧م) لأمور

(١) هذه النظرية عن التفريق بين هجرة آل خليفة للمنطقة، وهجرة آل صباح، لم أقرأها لدى غير النبهاني، فالمتداول في معظم الدراسات أن هجرتهم واحدة، وقدومهم للمنطقة مشترك.

(٢) آل زامل كانوا من بني خالد أيضاً، ولعله يقصد انتقال الإمارة إلى آل غرير (آل عريعر).

مجهولة. قيل منها تعديات بني كعب بن عامر الذين كان مقرهم في خوزستان (عربستان) أي في الحويزة والأهواز والمحمرة والدورق والقبان، لأنه كان لهم نفوذ تام، وسيطرة قوية في تلك النواحي والأصقاع، وكانت سفنهم تتردد بين الكويت وبقية مدن الخليج.

ويقال أن آل خليفة لما ارتحلوا من الكويت جعل قومهم يرتجزون بقولهم:

هبّ الدبور، واللي به الخير قد شال والـــلي بقى حــاز الـــردى والمـذلـة

يشيرون بذلك إلى المذلة والمهانة اللتين كانتا تنتابهم من بني كعب في ذلك الزمن، وفي تلك الأصقاع، فأجابهم أهل الكويت المقيمون بقولهم:

هــب الــدبــور وطــيّر التبن وانجال ولا بقى الا مصحصح الَحــبّ كلّه

فانفرد آل صباح بذلك القطر الكويتي بعد ارتحال آل خليفة عنه، واستقلوا به استقلالاً تاماً، وبما أن آل صباح ذوي أخلاق حسنة، وجاه ووقار مع قوة إرادة وشدة عزم، ونفوذ تام بين الأعراب هناك. كما كان ذلك لآل خليفة من قبل، فاستحسن بنو خالد حكام الأحساء بأن يرأسوا هناك آل صباح، لأنه أصبح من المحقق لديهم بأن إخضاع آل صباح لأحكام أمراء الأحساء بالقوة أمر صعب، إن لم نقل بأنه مستحيل، فجنحوا إلى المسالمة معهم، وأرسلوا إلى رؤساء آل صباح يفاوضونهم في إمارة الكويت، ويتفقون معهم على أمور ترضي الطرفين:

منها اعتراف بني خالد لآل صباح باستقلالهم بحكم الكويت على شروط منها عقد اتفاق بينهما بحسن الجوار، وعدم انضمامهم إلى خصمائهم، وأن ينفذوا أوامر حكام الأحساء التي يصدرونها لهم فيما يتعلق بالأعراب المنبثين بين القطرين، كما هو المتعارف فيما بين الأعراب في عقد الاتفاقيات العربية.

فوافق آل صباح مبدئياً على كل ما أراده بنو خالد، ثم جعلوا بعد ذلك يتخلصون من تلك الشروط والسيطرة تدريجاً حتى حازوا على الاستقلال التام بالكويت.

* * *

حالة الكويت الاقتصادية:

الزراعة والنبات:

تربة الكويت صالحة للزراعة، وبالأخص القسم الشمالي منها، وأما القسم الجنوبي، فهو رمليّ لا يصلح لزراعة الأشجار الكبار، بل هو صالح لزرع (النجم) من المخضرات والفواكه ونحوهما مما لا ساق له، لأن قلة المياه مما جعل الزراعة متأخرة عندهم.

* * *

المزروعات:

يزرع في الكويت وضواحيها النخيل بقلّة، والسدر، والشعير والبرسيم بكثرة، والحنطة (قمح)، وبعض الفواكه كالبطيخ الأصفر فقط، والخيار والقثاء (طرح) والجزر الأسود، وبعض المخضرات كالبامية والدباء (يقطين) والسلق واللوبيا والباذنجان الأسود والأحمر (طماطه) والبصل والفجل والكراث، ومن العطريات الريحان والنعناع. على أن جميع مزروعاتهم لا تفي بحاجة البلاد لقلة المياه كما تقدم.

وقد نهضوا أخيراً في زراعة الباذنجان الأحمر (طماطه) بهمة ونشاط منذ عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) حتى جعلوا يصدرون منها إلى الخارج.

* * *

الحيوانات الأهلية أو الداجنة:

الإبل النجائب، والخيل الأصائل، وغيرهما من النوع المختص لنقل الأثقال، والحمير، والبقر، والضأن، والمعز، والدجاج.

* * *

الحيوانات الوحشية أو المفترسة:

يوجد في بادية الكويت: الذئب والثعلب والنيص والضربان، (وهو القط الوحشي أو الهر البري، فإنه يعظم حجمه حتى يقارب الكلب القلطي، وهو منتن الرائحة ظاهراً وباطناً).

* * *

حيوانات الصيد البري:

الغزال والأرنب والحبارى والكروّان، أما الحبارى فتصاد بالطيور الحرة (صقر وشاهين ونحوهما) أو بالبنادق النارية لما فشا استعمالها منذ القرن ٨هـ (١٤م)، وأما بقية الصيد، فيصاد بالكلاب السلوقية أو بالبنادق النارية، وموسم الصيد عندهم هو فصلي الربيع والخريف.

* * *

المعادن والمناجم:

يوجد في الكويت من المعادن (النفط في البر، واللؤلؤ في البحر)، وعليهما المعول التجاري، ويوجد أيضاً القير، وبالأخص في جزيرة قاروه، والجص (الجير) والكبريت، وبالأخص قرب المعدنيات.

أما النفط فقد اكتشف في الكويت عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)[١]، ويقال أن الأرباح من النفط بالنسبة لرأس المال لبعض أقسام الشركة (ستاندرد. أويل. أوف. أنديانا) بالمائة خمسة، كما وإن نفوذ هذه الشركة ممتد إلى نحو خمسين بلدة من بلدان العالم، وهي متسيطرة على صناعة النفط في أمريكا، وعلى ٥٠ بالمائة من نفط فنزويلا، وعلى ٥٠ بالمائة أيضاً من نفط المكسيك، وذلك قبل أن تضع يدها الدولة المكسيكية على نفط بلادها في عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)، وكذلك فقد استولت هذه الشركة على نفط كولمبيا وبيره، وعلى قسم مهم من نفط الأرجنتين وبوليفيا، وعلى ٢٠ بالمائة من نفط رومانيا، وعلى نحو ٢٣ بالمائة من نفط شركة نفط العراق (I.P.C)، وعلى نفط المملكة العربية السعودية، وعلى نفط البحرين، وعلى نصف نفط الكويت.

* * *

استغلال نفط الشرق الأوسط:

كان قد دارت في الولايات المتحدة بين شركة شل للنقل والتجارة، ومعها الشركة الهولاندية الملكية من جهة، وبين شركة زيت الخليج (خليج البصرة) في أمريكا من جهة أخرى مباحثات

(١) اكتشف النفط حقيقة في الكويت في حقل بحرة سنة ١٩٣٨م، ولم يتم تصديره إلا سنة ١٩٤٦م قبل زيارة النبهاني بسنة واحدة فقط، وقبل ذلك كانت هناك تخمينات بوجود النفط.

للاتفاق على تنظيم أسواق النفط الذي تنتجه الينابيع الجديدة في الكويت، وهي المواد التي تتقاسم أسهمها بالتساوي الشركة البريطانية الإيرانية وشركة خليج البصرة.

ويقال أن الشحن من الكويت التي تعتبر أحدث مناطق الانتاج في تلك الجهة قد بلغ إنتاجه نحو مليون ونصف مليون طناً سنوياً، ويؤمل أنه في سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) يزداد الانتاج على ٢٠ مليون طناً سنوياً، ويقال إن شركة نفط الكويت قد اتفقت مع حاكم الكويت المغفور له سمو الشيخ أحمد الجابر الصباح[١] عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) لمدة ٧٥ سنة، وقد بدأ تصدير النفط من الكويت من عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، ثم في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) توفّقت الشركة إلى العثور على الزيت في الموضع المسمى (البرجان)، وهو يعتبر أعظم حقل للزيت في العالم[٢] لاتساع رقعته الصخرية التي يتخللها الزيت، فإنه يفوق ما اكتشف من الآبار حتى الآن في إيران والعراق أو في أي موضع في أمريكا.

وفي سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) تحصلت تلك الشركة على امتياز من حاكم الكويت للتنقيب على معدن الكبريت واستغلاله على شروط.

ثم في سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تحصلت شركة الزيت الأمريكية المستقلة على امتياز في المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة العربية السعودية والعراق والكويت.

ثم في سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م)[٣] أقامت شركة النفط الكويتية هناك بعض الخطوط الحديدية المحلية بين أقسام أعمالها، والموانئ البحرية الخاصة بنقل النفط.

* * *

الغوص واللؤلؤ:

أما معدن اللؤلؤ، فإنه موجود في سواحل الكويت على مسافة يتراوح عمق البحر فيها بين (٦ - ١٢) أبوع، وإنهم يمارسون مهنة الغوص سنوياً.

* * *

(١) مرة أخرى يؤكد النبهاني أن هذا الجزء طبع بعد وفاة الشيخ أحمد الجابر سنة ١٩٥٠م.

(٢) كان ذلك قبل اكتشاف حقل الغوار السعودي الذي يعتبر الأكبر عالمياً.

(٣) هذه إشارة ثالثة لسنة طبع الكتاب الحقيقية، وهي ١٩٥٠م، وليس ١٩٤٩م كما ذكر على الغلاف.

أشهر الغواصين في العالم:

يقال إن أشهر الغواصين على اللؤلؤ في العالم بعد غواصين البلدان العربية الكائنة على سواحل الجزيرة العربية هم غواصو جزيرة سيلان، إذ يرجع تاريخ مزاولتهم لمهنة الغوص منذ عام ١٧١٩ق.هـ (١٠٩٧ق.م)، وأن لهم طرق خاصة في الغوص، وهم خليط من سكان الهند الذين انحدروا إليها من الساحل الجنوبي في الهند، ومن أبناء العرب الذين قدموا إلى سيلان منذ زمن بعيد لاحتراف مهنة الغوص هناك.

ولكن يمتاز الغواصون من العرب على غواصي الهند بالمهارة والحذق والبراعة والصبر الطويل على مشاق الغوص، والمثابرة على الغوص، والإقدام على أهوال البحار مع الشجاعة، والمكث طويلاً تحت الماء في أعماق البحر لجني الصدف منها.

* * *

صادرات الكويت:

يصدّر من الكويت سنوياً: اللؤلؤ، وتقدر قيمته بنحو (٨ - ١٠) ملايين ربية عملة الهند، والسمن (الدهن العداني)، والجلود، والخيل المجلوبة من الشمال، والمصارين والصوف والوبر، والسمك المجفف، و(الشعاريف) وهو أطراف السمك المسمى (جرجور أو كوسج)، و(الزمبكان) وهو شحم أمعاء السمك، ويسفّر هذان الأخيران إلى (هنكنغ) من بلدان الصين لاستعمالهما في الأعمال الكيماوية والعقاقير الطيبة، وربما استعمل في بعض الأطعمة الغذائية.

ويصدّر كذلك من الكويت: الصدف بسائر أنواعه (كبار وصغار ومدوّر ومستطيل)، ولكل نوع منه له اسم معروف بينهم مثل (المحّار) بتشديد الحاء، والصديفي تصغير صدف، والقصمة والزوّان بتشديد الواو، والميسرين، والخالوف، وهو من النوع المستطيل، وهو قليل الوجود، وقد علم أخيراً بأنه يوجد فيه لؤلؤ منذ أول القرن ١٤هـ (٢٠م)، أما في الكويت فقد عثر على اللؤلؤ فيه منذ عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م).[١]

* * *

(١) يقصد اكتشاف اللؤلؤ في المحار المستطيل حديثاً، وليس اللؤلؤ بشكل عام، فهو موجود في بحر الكويت منذ القدم.

الصناعة:

ليس في الكويت صناعة تذكر سوى عمل المتطرقات البسيطة اليدوية من الحديد والنحاس والصفر، وبعض الحياكة البسيطة، ونسج الحصران (مَدّات)، والنجارة، وكلها مقتبسة من بعضهم بعضاً بالتجارب، وذلك لعدم وجود مدارس صناعية راقية عندهم.

نعم، لهم مهارة فائقة في صنع السفن الشراعية الكبار المجلوب خشبها من الهند، وقد نافسوا أهل البحرين في عمل السفن الكبار.

ولسفنهم الشراعية عدة أسماء لتنوع شكلهما وحجمهما، فمنها ما يسمى (البغلة، والبوم، والشوعي)، ولكن تركوا الكل، واكتفوا اليوم بعمل الأبوام فقط، وربما وضعوا فيها محركاً كهربائياً، وذلك منذ عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م).

ولما زرنا الكويت عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) رأينا معملاً للسفن الشراعية تعمل فيه الأبوام الكبار التي تقدر حمولتها بنحو ٢٠٠٠ مناً[1] فأكثر، وبلغنا بأن ذلك المعمل كان ينتج سنوياً نحو ٥٠ سفينة شراعية (أبواماً)، وهو مجهز بكل وسائل الراحة المقتضية لسرعة الانتاج، ويوجد بجانبه معمل لتصليح الجوالات (السيارات) بسائر أنواعها، وهو مجهز أيضاً بكل الأدوات الضرورية لإتقان العمل، والسرعة في الإنجاز.

وإن قسماً من العمال الكويتيين يشتغلون بصيد السمك بالشرك الطويل (بيّاحة) بتشديد الياء، أو بما يسمونه (حضرة أو حضور)، وهي حواجز من جريد النخل أو من القصب تثبت في السواحل البحرية المنخفضة، فتدخلها الأسماك وقت المدّ، فإذا جزر البحر انحصرت الأسماك في الحضور في الجزء المنخفض منها، والذي يوجد فيه ماء جعل خصيصاً لتجتمع الأسماك فيه، فيسهل على الصياد إمساكه.

وأيضاً، فإن بقاء السمك في الماء هناك يحفظه من الموت لئلا يتعفن، ويحفظه أيضاً من اختطاف الطيور له.

وإن صيد السمك بالحضور منتشر على طول سواحل الكويت وجزرها، ويسميها البصريون (ميلان - رجبية)، ويوجد نوع آخر يسمونه (سَكْرة) بفتح السين وسكون الكاف، وهي (البيّاحة) تجعل في صدر النهر، فتمنع خروج السمك من النهر وقت الجزر، فيجتمع

(١) يساوي المن الواحد حوالي ٤ كجم.

السمك في البيّاحة، فيصاد بسهولة.

* * *

التجارة:

لقد حصل للكويت التقدم التجاري والعمراني منذ أن احتل صادق خان البصرة عام ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، فإن غالب سكان البصرة هاجروا منها، فبعضهم ذهب إلى الشمال، وجماعة ساروا إلى الزبارة، وقسم قصدوا الكويت حيث استوطنوه، وبذلك حاز الكويت التقدم، وازداد العمران.

ثم لما ظهر النفط أخيراً في الكويت، وقصده العمال، خطا الكويت خطوات واسعة في التقدم تجارياً وعمرانياً، وراجت الأسواق رواجاً حسناً.

وأن تجارتهم محصورة اليوم في جلب الأطعمة بسائر أنواعها، والآلات، والمنطرقات، والأثاثات، والأواني المعدنية والصينية ونحوهما من أوربا وأمريكا والهند والبصرة وإيران، ويصدر بعضها إلى داخل نجد وبادية العراق والبصرة.

وإن للكويت مستقبلاً حسناً لتوسطها بين تلك الممالك العربية، ولا سيما إذا كثرت مسابلة أعراب نجد والعراق لها.

وإن السوق الداخلي كان مسقفاً، ثم رفع سقفه عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م)، ثم أعيد سقفه عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م)[1]

* * *

المآثر المقدسة:

يوجد على الساحل بين الكويت والبصرة في الموضع المسمى (العَدان) بفتح العين وتخفيف الدال قبر العلاء بن الحضرمي الصحابي فاتح جزيرة أوال، فإنه توفي سنة ٢١هـ

(١) إشارة رابعة لحقيقة سنة الطبع!

(٦٤٢م)، ودفن هناك، وإن ضريحه مشهور ومعروف عند العوام بقبر أبي علي تحريف العلاء. اسم الضريح، وللموضع كله، ومن تلك الأراضي يجلب الدهن العداني.[١]

* * *

الآثار القديمة:

يوجد في منطقة الكويت أماكن فيها أطلال أبنية قديمة داثرة، وآثار قبور دارسة، كما ذكرنا ذلك في بحث الجهرة والحجيجة وكاظمة والصبية والشعيبة وأوارة وبرقان وجزيرة فيلكا، وكل تلك الأماكن مما تبرهن على أن أرض الكويت وملحقاتها كانت عامرة بالسكان هي والجزر التابعة لها من زمن بعيد، ولكنها دثرت لكثرة الفتن، وتعاقب الحكام والملوك، ولم يبق منها سوى الرسم أو الطلل.

وقد عثر أخيراً في داخل الكويت أثناء حفرهم أساسات للبناء على (حجر) صخرة مكتوب عليها باللاتينية، ثم تفهم من قراءتها بأن تلك الصخرة كانت موضوعة على قبر امرأة مسيحية تسمى «مريم»، ومكتوب من تحت اسمها تاريخ وفاتها، وهو عام ٦٠٠م (٢٢ق.هـ).

ويوجد أيضاً في جزيرة فيلكا عدة أماكن مقدسة عند أهل الجزيرة منها محل يقال له (الخضر)، وعليه حجرة تزار، ثم هدمت زمن تشكيل المجلس التشريعي[٢]، ومنها أربعة أماكن متفرقة في وسط الجزيرة يقال لها (سعد، وسعيد، والبدوي، وابن غريب)، كانت تزار، ثم تركت، فدثرت، كما وأنه يوجد في هذه الجزيرة أيضاً مقبرة قديمة جداً، ولكن لم ينقب فيها أحد حتى اليوم.

وكذلك عثر على أساسات حصون قديمة، وقد عثر فيها أيضاً أصنام قديمة جداً، فنقلت للخارج على ما يقال.

* * *

(١) كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد أمّر العلاء على جيوش العراق، فسار من البحرين (الأحساء حالياً) حتى اقترب من منطقة العدان، فأخذ يبتعد مع ركبه ومرافقيه عن جهة الساحل حتى وصلوا إلى الوفرة، وبالتحديد قرب «ضليعات التياس» كتب الله لهذا الصحابي الجليل أن ينتقل إلى الدار الآخرة سنة ٢١هـ. راجع: مقالة بعنوان «هل تحتضن أرض الكويت قبور شخصيات مهمة في تاريخها» للمؤرخ فرحان الفرحان، منشورة في جريدة القبس الكويتية، بتاريخ ٧ نوفمبر ٢٠٠٨م.

(٢) يقصد المجلس الذي استمر عامي ١٩٣٧م و١٩٣٨م قبل زيارة النبهاني للكويت بعدة أعوام.

العطلة الأسبوعية الرسمية، وعوائد الأفراح:

فالعطلة الرسمية هي يوم الجمعة. تعطل فيها أشغال الحكومة الرسمية، والشركات الأجنبية، والجاليات تبعاً للحكومة المحلية، كما وأنها تعطل أشغالها في أيام المواسم الدينية الإسلامية، وعلاوة على ذلك، فإن جميع الأسواق (تعزّل) وتغلق أماكنها في رأس السنة العربية الهجرية، وفي يوم عاشوراء من شهر محرم تبعاً للحكومة.

أما عوائد الكويتيين وأفراحهم ومهرجاناتهم، وما يعملون فيها، فقد ذكرها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في رسالته المسماة (صفحات من تاريخ الكويت) من ص٧٩ -٨٤ تحت عنوان (اللهو)، فراجعها إن شئت الاطلاع على ذلك.

* * *

حالة الكويت السياسية:

لقد ظهر شأن الكويت، واشتهرت بين البلدان العربية، وبرزت أهميتها منذ تقرر مد السكة الحديدية إلى بغداد فالبصرة فالكويت، وعلى ذلك فقد حصل التنازع السياسي بين بريطانيا وألمانيا على مد السكة الحديدية، حيث أن ألمانيا كانت ترغب في إيصالها إلى الكويت عند كاظمة على ساحل البحر، بينما انكلترا تمنع ذلك صيانة لنفوذها في خليج البصرة (خليج فارس) من جهة، ومن جهة أخرى هو الدفاع عن إحدى طرق الهند، لأن مركز الكويت التجاري والحربي من جهة، وكونها قريبة من مصب نهري دجلة والفرات، واتصالها الوثيق بنجد من جهة أخرى، فهذان العاملان مما جعلا للكويت مركزاً ممتازاً عن مجاوريها من البلدان الأخرى، فلذا طمحت إليها أعين المستعمرين.

* * *

السكان وتسوير العاصمة:

يبلغ عدد سكان الكويت أجمع بنحو ٢٥٠ ألف نسمة. منهم نحو ٩٠ ألف نسمة في العاصمة وقراها، والباقون هم عشائر قاطنون في أرباض الكويت، أو رحّل في باديتها، على أن

نفوس الكويت لا تزال متزايدة باستمرار لتوفر المصالح فيها، لا سيما بعد اكتشاف آبار النفط هناك.

وإن العاصمة كانت مسوّرة بسور صغير بني في زمن الشيخ عبد الله الأول بن صباح الأول على ما يقال، ثم لما كثر السكان جعلوا يبنون بيوتهم خارج السور الأول، فعند ذلك ألجأ الأمر إلى تسوير العاصمة كلها بسور ثاني عام ١٢٣٠هـ (١٨١٥م) في زمن الشيخ جابر بن عبد الله الصباح على ما يقال.

وقد أدركنا جزءاً من السور الثاني عند سوق البزّازين[1] الجديد أثناء تجديد بنائه عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وتقدر مساحة الذي رأيناه بنحو ٥٠ قدماً، ثم أدمج ذلك الجزء في بناية السوق الذي سمي أخيراً بسوق البنات لكثرة مزاولة النساء له.

ثم في زمن الشيخ سالم بن مبارك الصباح لما كثر العمران، وتزايد السكان خارج السور الثاني أمر بتسوير العاصمة بسور ثالث كبير يحيط بالكل، فسوّرت في رمضان ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)، وذلك بعد وقعة حمض، وقد اشترك في بناء السور الثالث جميع الأهالي، وبالأخص الذين هم مجاورون له، كل على حسب مقدرته من الجهة الموالية لمنزله.

فطول العاصمة الممتد على الساحل شرقاً وغرباً كشكل نصف دائرة يقدر بنحو ٤ أميال، وعرضها نحو ٣ أميال في بعض الأماكن، والسور الثالث محيط بها، وتقدر مساحته بنحو ٥ أميال، وعليه نحو ٤٠ برجاً، وله خمسة أبواب، وهي:

١- باب البدع الذي فتح عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م).

٢- باب الجهرة لأنه يفضي إلى الطريق المؤدي إلى قرية الجهرة.

٣- باب نايف لأنه غربي القصر المسمى (نايف) الذي هو في داخل السور، ويسكنه اليوم سمو الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد الجابر الصباح، ويسمى أيضاً (باب الشامية) لأنه يفضي إلى آبار ماء خارج السور الثالث الحالي تسمى (الشامية)، وهذا الباب هو مكون من بابين متلاصقين شمالاً وجنوباً، وبينهما (الممكس)، فالدخول للعاصمة من الباب الجنوبي، والخروج من الباب الشمالي، وكلاهما تحت أشراف مأمور المكوس هناك، لأن الممكس له بابان يشرفان على بابي السور.

(١) أي سوق بائعي الأقمشة الحريرية.

٤- باب بريعصي، وسبب التسمية بهذا الاسم هو أنه كان في ذلك المحل مزرعة لشخص من عشيرة البرصان[١]، وهي فصيلة من مطير، فسميت المزرعة (البريصي) نسبة للبرصان، ثم أن العوام حرفوها، وقالوا (مزرعة البريعصي)، ثم لما أنشئ السور الثالث، وفتح له باب هناك يفضي إلى تلك المزرعة قيل له (باب البريعصي).

٥- باب بنيدر الكار (أي القار)، فلفظ بنيدر تصغير (بندر) بمعنى المرسى، و(الكار) هو القير الذي يأتيه من جزيرة قاروه.

ولا يزال إنشاء الأبنية مستمراً بصورة مستعجلة، ففي كل شهر قسم مهم من الأبنية على الطراز الحديث، وبالأخص على الشوارع التي فتحت مجدداً مستعوضين بدل الطابوق (قوالب من خليط سمنت ورمل) على شكل الطابوق بأحجام مختلفة.

ثم في سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) جعل الناس يبنون خارج السور الثالث أبنية ضخمة على الطراز الحديث، ولكن لا يؤمل بناء سور رابع لأنه من المؤكد أن لا قيمة للسور بعد اختراع الطيارات.

ثم أن العاصمة هي مقسومة قسمين بشارع رئيسي كبير يسمى (شارع الأمير) نسبة للحاكم المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح، ويبتدئ ذلك الشارع من الصفاة متجهاً نحو البحر، فالقسم الشمالي هو مقسوم إلى قسمين أيضاً، فالذي يلي البحر يسمى الشرق، والذي يلي البر يسمى المرقاب، وأما القسم الآخر الجنوبي الغربي، فهو مقسوم إلى قسمين أيضاً، فالذي يلي البحر يسمى المرقاب، والذي يلي البر يسمى الصالحية.

* * *

الأجناس:

إن غالب سكان الكويت هم عرب أصليون، وأكثرهم منحدرون من نجد كالعتوب،

(١) اسم هذه العشيرة البراعصة من مطير، وبالتالي فالنسبة إليها البريعصي دون تحوير.

والسهول الذين هم من سبيع[١] أهل بلدة القصب من ملحقات الوشم، وكذلك استوطن الكويت جماعة من نجد، وهم آل زايد (ويعدون من الدواسر)، والجلاهمة، والقناعات (ويعدون من السهول)، وغيرهم من العشائر المعلومة الأنساب.

وكان الحكم في بادئ الأمر في الكويت أشبه شيء بالجمهورية، فكل عشيرة تحكم جهتها، وأشهرهم (العتوب، والسهول، والمطران، والعنوز (أي عنزيون)، والعوازم)[٢]، ثم سكن الكويت أيضاً جماعة كثيرون من إيران منذ أمد بعيد، فأصبحوا اليوم معدودين من أهالي الكويت، وأعيانهم (لغة وعادة وطباعاً) كأنهم عرب أصليون.

* * *

الدين واللغة:

الدين السائد هو الإسلام، واللغة الدارجة الرسمية هي العربية، وأن جميع السكان هم مسلمون إلا ما ندر، ومعظم السكان هم من أهل السنة والجماعة، فالحكام وغالب الأعيان والوجهاء وقسم من العشائر هم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة النبوية.

ومن كان منهم حنبلياً، فأصله من نجد، ومن كان منهم شافعياً، فأصله من أكراد العراق أو من فارس، ومن كان منهم حنفياً، فأصله من بغداد أو من الهند.

وقد ذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في تاريخه بحثاً مهماً عن العلم والعلماء (من ص٤٤ - ٤٦)، فراجعه إن شئت التروي.

وأما الشيعة، فبعضهم من الأحساء وما جاورها، وهم (شيخية)، وبعضهم من فارس (إيران)، وهم أصولية وإخبارية.

* * *

(١) السهول قبيلة منفصلة عن سبيع، ولكنهم أبناء عمومتهم تجمعهم النسبة إلى بني عامر.

(٢) عشائر الكويت أكثر من ذلك، فالمؤلف غفل عن ذكر كثير منها.

المساجد:

إن عدد المساجد والجوامع الموجودة في الكويت عند زيارتنا لها في المرتين في ١٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (١ إبريل ١٩٤٧م)، والمرة الثانية كانت في ١٨ ذي الحجة ١٣٦٦هـ (١ نوفمبر ١٩٤٧م) هي كما يأتي، ولكن غالبها بدون منارة سوى أنهم يجعلون على حافة سطح المسجد محلاً صغيراً مرتفعاً على شكل مربع أشبه شيء بالمنبر كما سيتضح لك:

١- مسجد عبد الله بن حمود بن جسّار.[١]

٢- جامع ملا صالح.[٢]

٣- مسجد المهارة. بناه صنقور المهري.[٣]

٤- جامع ناصر البدر.

٥- مسجد صقر العبد الله.

٦- مسجد المرزوق الداود البدر.[٤]

٧- مسجد آل يعقوب الغانم. رمم عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م).

٨- جامع الساير القبلي المؤسس عام ١٣١٢هـ (١٨٩٥م).

(١) يعرف بمسجد الساير القبلي، وبمسجد الجسار، ويقع خلف مبنى مجلس الأمة، وشمال مبنى الخطوط الجوية الكويتية، وكان في الأساس حوطة تبرع بها عبد العزيز بن حمود الجسار (وليس عبد الله كما ذكر النبهاني)، وشارك في بنائه أهل الخير سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)، وأكمل بناءه الجسار سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، وجدد بعد ذلك من قبل الأوقاف. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٣٩.

(٢) أسس هذا المسجد الشيخ سالم المبارك سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)، وكان المشرف على البناء وكيله وسكرتيره الملا صالح، فنسب المسجد إليه، وصارت المنطقة المحيطة تعرف بالصالحية نسبة لهذا المسجد الذي يقع في شارع فهد السالم، وجدد عدة مرات. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٩٦.

(٣) تبرع بأرض هذا المسجد الشيخ مبارك الصباح، وتبرع الحاج علي بن حمد بجمع التبرعات للبناء، وأشرف على بنائه صنقور المهري سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)، فصار المسجد يعرف بمسجد ابن حمد، وبمسجد المهارة، ويقع حالياً خلف مبنى قصر العدل. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٣٧.

(٤) أسسه مرزوق بن داود بن يوسف البدر سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م)، وهو يقع خلف البنايات التي في شارع فهد السالم. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٤٤.

٩- مسجد الساير الصغير[١]. أسسه ابن هارون، وأَتمه عبد الله بن ملا عمر.

١٠- مسجد محمد المديرس.[٢]

١١- مسجد سعود الصباح.

١٢- مسجد في محلة ابن سلامة. أسسه ياسين القناعي.

١٣- مسجد العبد الجليل. أسسه درويش.

١٤- مسجد السرحان[٣]. أسسه ياسين القناعي، ونسب لإمامه الشيخ سرحان، وهو من علماء المالكية كان يدرس فيه فقه الإمام مالك.

١٥- مسجد فهد الفهيد.[٤]

١٦- مسجد محمد بن عبد الرحمن بن بحر.[٥]

١٧- جامع العدساني. يقال أسسه محمد بن محمد بن عبد الرحمن العدساني.

١٨- مسجد ابن شرف.

١٩- مسجد برسلي. أسسه سعد أخو ناهض عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م).[٦]

(١) يسمى الساير الشرقي، ويقع أمام قصر العدل، وخلف مبنى مجلس الأمة، وأسسه سنة ١٣١١هـ (١٨٩٤م) بعض المحسنين في حي الساير بمساعي ساير بن شحنان المطيري. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٤٠.

(٢) أسسه عبد الله بن محمد بن سليمان المديرس سنة ١٢٥٥هـ (١٨١٠م)، ويقع حالياً في شارع علي السالم بجوار البنك الوطني. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٤٤.

(٣) أسسه ياسين سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٤م)، ويقع جنوب البنك المركزي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٦٤.

(٤) المشهور مسجد الفهد قرب سوق الذهب ومواقف سوق المباركية، وقد أسسه أحمد بن عبد الله الفهد، ولعله المقصود هنا.

(٥) هو المسجد القريب من سوق اللحم والخضار وساحة المطاعم المعروفة بسوق المباركية. أسسه محمد بن عبد الرحمن البحر سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م). . راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٥٨.

(٦) أسس هذا المسجد سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) محمد ملا صالح من ثلث زوجته، وشملان بن علي من ثلث سعد الناهض السهلي، ويقع شرق المستشفى الأميري قرب المرسم الحر، وأشرفت على هذا المسجد أسرة بورسلي، وأوقفت عليه أوقافاً، فنسب لها. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٦.

٢٠- جامع السوق، وهو الذي فيه منارة صغيرة قصيرة.[١]

٢١- مسجد عبد الله الأول بن علي بن سعيد بن بحر، وهذا المسجد ربما كان بناؤه عام ١٠٨٠هـ (١٦٧٠م).

٢٢- جامع الخليفة. أسسه أحد العائلة الخليفية حكام جزيرة أوال، وقيل هو من آل فاضل أهل البحرين، ويقال أن الشيخ مبارك الصباح وسع مساحته زمن السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، وسماه (الحميدي) نسبة للسلطان.[٢]

٢٣- مسجد الحداد.[٣]

٢٤- مسجد مبارك. يقال أنه من آل فاضل أهل البحرين، وقيل بل هو من حكامها آل خليفة.

٢٥- مسجد ابن خميس.[٤]

٢٦- مسجد القطامي. أسسه سلطان بن ماجد.[٥]

٢٧- جامع النصف (آل بطي)[٦]، وعمره راشد النصف عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٨م)، وصلى فيه الجمعة، فقيل في تاريخه:

طـــوبى لمـــن يـعـمـر مـــن أمـــوالـــه يـبـنـي لـــه في جـنـــة الإســـعـــادِ

(١) مسجد معروف جنوب البنك المركزي في نهاية السوق الداخلي من جهة الشمال. كان مؤسسه الأول هو محمد بن حسين بن رزق الأسعد سنة ١٢٠٩هـ (١٧٩٤م) ثم جدده وزاد مساحته يوسف الصقر الغانم. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٦٠.

(٢) يعود تأسيسه إلى سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م)، ويقع مقابل قصر السيف بقرب المسجد الكبير، وقد جدد الشيخ مبارك الصباح بناءه ووسعه سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م)، وجدد عدة مرات. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٢.

(٣) مسجد يقع مقابل مسجد الدولة الكبير من الجهة الغربية. أسسه العوازم في فريقهم الكائن هناك سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، وسمي بمسجد الحداد نسبة إلى إمامه. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٥٩.

(٤) أسسه محمد الجلاهمة سنة ١١٨٦هـ (١٧٧٢م)، ويقال أن ابن خميس قدم أرض المسجد، فنسب إليه، وهو يقع حالياً على شارع الخليج العربي خلف وزارة التخطيط. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٣.

(٥) يقع بالقرب من ديوان الشملان ووزارة الصحة، وأسسته ملكة بنت محمد غانم الجبر الغانم، وهناك قول أنه مؤسسه هو سلطان بن ماجد كما ذكر النبهاني، وقيل أن ابن ماجد هو مؤذنه وليس المؤسس. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨٠.

(٦) أسسه رجل من البطي أو الجلاهمة سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م) ثم جدده راشد النصف، وهو يطل على شارع الخليج العربي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨٥.

إن رمت تاريخاً لذا التعمير قل: ذا بيت مال الجود والأمجاد

٢٨- مسجد ناهض.[١]

٢٩- مسجد عيسى المناعي.[٢]

٣٠- جامع أبي رسلي. أسسه سعيد العطيبي، وهو غير المسجد المتقدم.

٣١- مسجد ناهض العطيبي. أسسه سعيد العطيبي.[٣]

٣٢- مسجد محمد بن بشر الرومي.[٤]

٣٣- جامع المطبة. أسسه شملان بن يوسف.[٥]

٣٤- مسجد عبد الله بن عبد الإله القناعي، ويقال له (مسجد صادق).[٦]

٣٥- جامع عبد العزيز المطوع القناعي[٧]. بناه عام ١٢٨١هـ (١٨٦٥م)، وقال مؤرخه:

بانيه عبدٌ للعزيز قناعي فادع له في سائر الأوقاتِ

إلى أن قال:

إن رمت في تاريخه يا صاح قل: بشّر مؤسسه على الطاعاتِ

---

(١) أسسه ناهض بن علي السهلي حوالي سنة ١٩٠٠م، وهو يقع في حي الشرق في براحة الماص.

(٢) اختلفت الآراء حول مؤسسه، فذكروا أن إبراهيم المضف وإبراهيم إسحاق تبرعا بالمال وعيسى المناعي بالأرض، وقيل بل تبرع المناعي بالاثنين، وتأسيسه كان سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، ويقع على شارع الخليج العربي مقابل سوق السمك. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨٣.

(٣) العطيبي أسرة من الهواجر، أما الناهض، فهم من السهول، ولكن النبهاني خلط بينهما هنا.

(٤) مسجد أسسه بشر بن يوسف بن أحمد الرومي حوالي سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م)، وهو يقع على شارع الشيخ أحمد الجابر قرب أبراج العوضي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٥.

(٥) يقع قرب مبنى البورصة على شارع علي السالم، وأسسه شملان بن علي، ولكن المسجد اشتهر باسم حي المطبة الذي كان يقع فيه. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨١.

(٦) أسسه عبد الله بن عبد الإله سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م) من ثلث محمد بن يوسف القناعي الذي أوصى ببناء مسجد، ويعرف الآن بمسجد عبد الإله القناعي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٨.

(٧) أسسه عبد العزيز بن عبد الله المطوع القناعي، ويقع خلف مبنى البورصة من الجهة الشرقية الجنوبية. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨٣.

٣٦- مسجد ابن حمدان القناعي.

٣٧- مسجد القصمة في محلة الناصرية.[١]

٣٨- مسجد الفارس. أسسه العوازم المالكية، وعليه منارة صغيرة.[٢]

٤٠- مسجد ابن هبلة.[٣]

٤١- جامع هلال. أسسه ابن دويلة، وقيل أسسه عزران الدماج، وقيل سعيد العطيبي، ثم زاد فيه هلال المطيري سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م).[٤]

٤٢- مسجد المطران. أسسه العتيقي.[٥]

٤٣- مسجد إبراهيم آل نبهان[٦]، وهو أحد آل نبهان سكان جزيرة البحرين[٧]، ثم استوطن الكويت، ويقع هذه المسجد قرب الموضع الذي كان يسمى سوق الماء، لأن الماء كان يباع هناك في القرب على ظهور الدواب قبل تشكيل شركة جلب الماء في دجلة.

٤٤- جامع صالح فضالة.[٨]

(١) أسسه عبد العزيز بن عبد الرحمن القصمة سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) في حي الناصرية الذي يقع مكانه الآن مجمع الوزارات، وسمي بهذا الاسم لوجود جاخور للشيخ صباح الناصر في تلك المنطقة. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٧٢.

(٢) أسسه رجل من أسرة الدواس من قبيلة العوازم، وأول من أم فيه، وأوقف عليه هو الشيخ العالم محمد بن عبد الله الفارس، فنسب المسجد إليه، والمسجد يقع في شارع المباركية بجوار عمارة السيارات. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٦١.

(٣) أسسه سيف بن فهد بن هبلة الرشيدي سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، ويقع الآن بجوار مجمع الصوابر من الجهة الشرقية. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٧٨.

(٤) أسس سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) في فريج المطران بالمرقاب، ويقع حالياً خلف مبنى البنوك قرب سوق الأقمشة من الجهة الشمالية ثم جدده هلال المطيري كما ذكر النبهاني. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٧٣.

(٥) أسسه محمد بن عبد الله بن يوسف بن سيف العتيقي سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) في فريج المطران بالمرقاب، ويقع حالياً في شارع عبد الله السالم مقابل بيت التمويل الكويتي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٦٩.

(٦) أسس هذه المسجد عبد العزيز العتيقي بعد أن كان عشة يصلى بها أسسها محسن بن محمد بن حنوة العازمي سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤م)، ونسب لإبراهيم النبهان لأنه كان إمامه. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٦٣.

(٧) أي عشيرة مؤرخنا النبهاني نفسه، وإبراهيم هذا ابن عم خليفة والد المؤرخ.

(٨) أسسه صالح بن فضالة بن علي الفضالة، ويقع حالياً خلف المتحف العلمي. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٦٨.

٤٥- مسجد محمد بن حمود الشايع.[١]

٤٦- جامع عبد العزيز الفليج.[٢]

٤٧- جامع ابن شملان. أسسه فهد الدرسوني، وبناه ابنه علي بن شملان.[٣]

٤٨- مسجد عبد العزيز العثمان.[٤]

٤٩- جامع علي بن عبد الوهاب المطوع، ثم في سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) بنيت عليه منارة.

٥٠- مسجد محمد بن صالح العيبري.[٥]

٥١- مسجد أحمد بن هاشم الغربلّي.[٦]

٥٢- مسجد سليمان المرزوق، ويقال له مسجد ابن شرهان.[٧]

٥٣- جامع دسمان. أسسه المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م)، وأما القصر، فبناه والده الشيخ جابر بن مبارك الصباح عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م).

٥٤- مسجد الدبوس.[٨]

(١) أسسه محمد بن حمود الشايع بجوار برج التحرير ومجمع المواصلات، وأمه بنفسه، وأوقف عليه. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٦٥.

(٢) أسسه فليج العلي من ثلث المرحوم عبد العزيز الفليج سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م)، ويقع في الجهة الشمالية من مجمع الوزارات على شارع الهلالي، وقد هدم هذا المسجد عند بناء مجمع الوزارات. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٧٢.

(٣) هو الجامع الكبير الذي يقع الآن وسط الدوار المعترض للشارع الهلالي في منطقة المرقاب، وأسسه شملان سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) من ثلث مال ابنه علي، ولم أفهم إقحام النبهاني لاسم فهد الدرسوني هنا. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٨٢.

(٤) أسسه عبد العزيز بن عبد الله العثمان سنة ١٩٠٧م في الطرف الشمالي لمبنى مجلس الأمة حالياً. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٤٣.

(٥) أسسه الفلكي صالح العجيري بأموال لأبيه محمد بن صالح العجيري مسؤول ختم الذبائح في المسلخ قرب مقبرة الصالحية مع تبرعات أهل الخير سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م). راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٠٠.

(٦) أسسه محمد بن صالح العجيري أيضاً سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م)، وكان بقرب بيت أحمد هاشم الغربللي، فنسب إليه. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص٩٩.

(٧) أسسه عبد الله بن محمد المرزوق البدر سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) قرب بيته، وهو يقع حالياً شرقي متحف الكويت، ونسب المسجد إلى إمامه عبد الله الشرهان. راجع: عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ص١٤٢.

(٨) لعله المسجد المعروف بالنومان الواقع في حي الدبوس، ويقع الآن خلف مبنى البورصة، ونسب إلى مؤذنه حنيف النومان، وكان تأسيسه سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م).

٥٥- مسجد ابن اسماعيل.

فالمجموع ٣٩ مسجداً، و١٦ جامعاً، ويوجد في الكويت غير ما ذكر ٣ مساجد للشيعة.

* * *

صلاة العيدين:

كان أهل الكويت يصلون صلاة العيدين خارج البلدة تبعاً للسنة المحمدية، ثم لما هجم الأمير عبد الله بن فيصل السعود سنة ١٢٧٦هـ (١٨٦٠م) على عشائر العجمان في الموضع المسمى (مَلَحاً)، وقُتل من قتل، ونجا من فرّ إلى الكويت، فحصلت بعض الأراجيف في الكويت، وذلك في أول إمارة الشيخ صباح الثاني بن جابر الأول، فأمر بأن تصلى العيدين في داخل البلدة، فمن يومئذ جعلوا صلاة العيدين داخل البلدة اعتباراً من عام ١٢٧٧هـ (١٨٦١م)، ولا يزال الأمر كذلك إلى يومنا هذا.

* * *

رقي الكويت:

كان في عهد الشيخ مبارك الصباح قد تأسست في الكويت دائرة للمكوس في إبان الحرب العظمى الناشبة من عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م)، وكذلك تأسست عندهم أيضاً دائرة للبرق والبريد، فارتبطت الكويت بالعالم الخارجي، وذلك أنه في عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) مد الانكليز الأسلاك البرقية بين البصرة والكويت بإذن من الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.

وفي سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) تشكلت شركة الجوالات (سيارات) لتسير بين البصرة والكويت، وابتدأ سيرها بالفعل بين البلدين في ٤ شعبان ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م).

وفي سنة ١٣٥٣هـ (١ أبريل ١٩٣٤م) مشى تيار الكهرباء في أرجاء الكويت.

ثم جلب معمل للثلج، وللمبردات والمرطبات (ناملیت سودة، وقازوز، وخشف)، وللطحن، وسحبت المياه له من الآبار، والأماكن المنخفضة إلى الأماكن المرتفعة، ويقال أن أول من أدخل معملاً للثلج في الكويت هو الحاج يوسف بن أحمد الغانم حيث استحصل على امتيازه لمدة عشرين سنة ابتدأت من ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ (٢ أغسطس ١٩٣٤م).

وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) أنشئ مركز للسماعة- الندى- تليفون في الصفاة في محل ضخم (للبرق)، ثم في عام ١٣٦١هـ (١ فبراير ١٩٤٢م) مدت أسلاك السماعة في أرجاء الكويت.

ثم في سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تشكلت شركة الطيران العراقية، وجعلت تنقل الركاب بين بغداد والبصرة والكويت والبحرين، وقد عدنا من الكويت إلى البصرة على متن طائرة منها عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، وقطعنا المسافة بين البلدين في ٤٥ دقيقة.

وعلى أثر إنشاء الخط الجوي لنقل الركاب بين الكويت والبصرة، فإن شركة نفط الكويت، ونفط المملكة العربية السعودية قررتا إنشاء خط جوي آخر لنقل الركاب بين الرياض والكويت والبصرة وظهران.

ثم تشكلت شركة النقليات للركاب في داخل الكويت، وباشرت الجوالات بالسير في الشوارع الداخلية من ٩ محرم ١٣٦٧هـ (٢٢ نوفمبر ١٩٤٧م).

* * *

الراية:

كانت راية أهل الكويت عثمانية. أي حمراء، وفي وسطها هلال ونجمة بيضاء لأن الكويت كانت من ضمن الممالك العثمانية. ثم في سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) أبدلوا تلك الراية، وجعلوها حمراء في وسطها لفظة (الكويت).

* * *

النخوة أو الاعتزاء:

وكلمة التعارف الجامعة بين فروعهم جميعاً هي كلمة (عتوب)، وأما النخوة العمومية للحكام والرعايا، فهي (عيال سالم)، ثم في سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٨م) لما حصلت وقعة الرقة الناشبة بينهم وبين بني كعب أمراء عربستان حيث انتصروا على بني كعب، فأبدلوا تلك النخوة، وجعلوها كلمة (أخو مريم)، وهي خاصة لآل صباح فقط.

ويقال أن آل خليفة حكام البحرين اليوم لما بنوا قلعة مُرير التي هي الزبارة جعلت عشائرهم ترتجز أثناء البناء، وتقول:

سـور الـزبـارة سيّـسـوا يبنونه عـيـال سـالم بـالـقـنـا يـحـمـونـه

فيستفاد من ذلك الرجز بأن نخوة (عيال سالم) كانت مشتركة بين آل خليفة وآل صباح، ثم أن آل صباح لما انفردوا بالكويت جعلوا نخوتهم (أخو مريم) كما تقدم، وأما آل خليفة لما استقلوا بحكم البحرين جعلوا نخوتهم كلمة (أهل العليا).

* * *

الوسم أو العلامة:

نذكر هنا الوسم لأن عليه معولاً كبيراً بين الأعراب والعشائر، فطالما حصل النزاع بينهم على تملك بعض الإبل والخيل والأنعام، وادعى كل فريق بأنها له، ولا يفصل ذلك النزاع والتشاجر إلا الوسم المعروف لدى الجميع، وعلى ذلك، فيقال أن وسم آل صباح قديماً كان كمصراعي باب، أي على شكل مربع مستطيل مقسوم نصفين بخط عمودي كالمصراعين يَسِمون به الإبل على الرقبة من جهة اليمين.

ثم لما آل أمر الكويت إلى الشيخ مبارك بن صباح الثاني أبدل ذلك الوسم، وجعله على شكل مخلب الطير. ذو ثلاث شعب، وسماه (برثناً)، والبرثن في أصل اللغة يطلق على برثن الأسد ومخلب الجوارح من الطيور، وجعل محله على الخد الأيمن، وظل هو الوسم الرسمي لآل صباح قاطبة إلى زمن المغفور له الشيخ أحمد بن جابر الصباح حيث جعل موضعه على الفخذ الأيمن بدلاً من الخد.

وأخبرنا شفاهياً حين زرناه في قصره في حولّي بأن ذلك تحاشياً منه من المثلى في الوجه، وتقبيحه بالكي (الوسم)، فاختار وضعه على الفخذ الأيمن، وزاد على شكل البرثن خطاً عمودياً بجانب قاعدة البرثن، يدل على أن تلك الإبل هي خاص لسمو الحاكم.

* * *

الأزياء والشعار:

شعار أهل جزيرة العرب عموماً على قسمين، فأهل المدر (المدن) يلبسون الثياب الواسعة والقباء أو الفرّوج أو العباء، وأما رجال الدين، فإنهم يلبسون علاوة على ما ذكر على رؤوسهم العمائم البيض (أي يلفّون على رؤوسهم خاماً أبيض)، وهي شعار جميع المسلمين،

ويجعلون جزء من طرف العمامة مدلى (عذبة)، فإذا ترقى العالم إلى درجة الإفتاء أذن له من قبل شيخ العلماء بإدارة تلك العذبة من تحت حنكه إلى الجهة الأخرى حيث يغرزها في طرف العمامة من جهة الأخرى.

وهذه الصفة هي من مزايا علماء الدين المسلمين قديماً، وقد قالوا أن عبد الرحمن بن هرمز كان يحضر مجلسه أربعون عالماً محنكاً، وكذلك فإن العرب تحمل في يدها غالباً العصا، وينتعلون بالنعال المشرّك.

وأما الحكام منهم، فإنهم يحملون السيوف في أيديهم، والخناجر (الجنابي) في وسطهم، وكلها محلاة بالذهب أو مغلفة به.

وأما لباس البادية (أهل الوبر) ومن جاورهم، فإنهم يضعون على رؤوسهم العقال فوق الصمادة، ولا يعتنون بسواهما، والصمادة عندهم كل ما وضع على الرأس من الخام مطبوقاً على شكل مثلث.

وإن العقال كان مستعملاً من زمن بعيد عند القحطانيين والعدنانيين، كما وأن أهالي المملكة السبئية كانوا يلبسون العقال في اليمن قديماً، كما دلت على ذلك التماثيل التي عثر عليها في جنوب جزيرة العرب، وفي داخل اليمن، وقد تبعهم في لبس العقال بعض قدماء المصريين، وإن نوعاً من العقل يسمّى اليوم (عقال قحطاني) لاختصاص القحطانيين يلبسه قديماً.

وعلى ذلك، فكان لبس الرأس في الكويت قديماً هو الغثرة بالثاء المثلثة[1] أي الصمادة، ومن فوقها يلفون عليها إزاراً، وهو قطعة من خام أبيض كالعمامة بلا انتظام معلوم في اللف.

ثم أن بعض الأعيان منهم والوجهاء جعلوا يلبسون الغثرة الجزية، أو ما يسمونه (المحرمة الساعورية) المخططة بألوان شتى، والتي كان يؤتى بهما من العراق من جهة الموصل، ثم أن أهل الكويت تركوها، واستبدلوا بها الشماغ البصري، وهو كالصمادة مطرزة بخطوط حمر، فيستعمله أهل السنة فقط، وأما المطرز بالخطوط الزرق، فيستعمله الشيعة فقط، وهي العلامة الفارقة بين المذهبين في العراق.

ويلف أهل الكويت على الشماغ عقال طيّ، وهو عقال طويل يلف على الرأس كما تلف

(١) نقولها الآن الغترة بالتاء المثناة.

العمامة، وهو ذو أربع قصبات، والبارز من الصوف أكثر من الملفوف عليه الحرير، وكانت تلبسه عشائر طي، فنسب لها، وكثيراً ما يستعمله العراقيون.

ثم أن أهل الكويت اختصروا ذلك العقال الطويل، وجعلوه قصيراً بمقدار لفتين على الرأس، وربطوا طرفيه بخيط حرير ملائم للون صوف العقال، وسموه (شطفة)، كما جعلوه ذا قصبتين ملفوف عليهما قصب وحرير أو حرير ملفوف فقط، أو أن المستور بالقصب أو الحرير أكثر من البارز من الصوف.

وأما أهل البصرة، فاستبدلوا بعقال طيّ (العقال الزبيري)، وهو كالحجازي سوى أنه مؤلف من أربع قصبات ملفوف عليها الحرير، وهو أقل من البارز من الصوف، فجعل بعض أهل الكويت يلبسونه، ثم أنه في الأيام الأخيرة اكتفى أهل الكويت بلبس الغثر البيضاء، وعليها عقال ملفوف أسود ومبروم، ويسمى عقال قحطاني كما تقدم.

وأما المغفور له سمو الشيخ أحمد الجابر بن مبارك الصباح الحاكم السابق، فإنه يضع على رأسه عقالاً مقصباً بقصبتين فقط، وكذلك يستعمله من آل صباح سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح، وسمو الشيخ عبد الله الخليفة الصباح فقط.

وأما العلامة الفارقة بين آل صباح وآل خليفة حكام البحرين، فهي أن آل صباح يضعون العباءة على ما استرسل من الشال الصوف أو الغثرة البيضاء التي على الرأس بخلاف آل خليفة، فإنهم يضعون الصمادة أو الغثرة فوق العباءة.

إن آل صباح جميعهم يضعون على صدر العباءة شريطين من قصب طول الواحد منهما نحو شبر، وفي رأس أحدهما أزرار، وفي الرأس الآخر عروة، وهذه العلامة الفارقة بين آل صباح ورعاياهم، وكانت تلك العلامة خاصة للفرسان عند ركوبهم للخيل يزرّرونها خوفاً من أن يطير الهواء العباءة.

وأما لباس الجسم، فالقميص، ومن فوقه الصدرية أو القباء (الزبون)، ومن فوقهما الفروج (بالطو)، ثم حل محل الكل القباء الطويل الهندي أو الفروج (دقلة وبالطو)، ثم يضعون فوق الكل العباءة.

ثم أن الشبيبة منهم تركوا الكل، واكتفوا بلبس الفروج على الثوب (القميص) بدون لبس شيء عليه.

وأما الموظفون في الدوائر، فليس لهم لباس رسمي خاص، بل إن كل شخص هو مخيّر فيما يرتديه بدون قيد إلى حال التحرير.

ثم في جمادى الثاني ١٣٤٩هـ (١٩٣١م) لبس بعض الكويتيين البدلة الافرنجية الضيقة: فروج وسمط (سترة وبنطلون)، ثم خصصت بعد ذلك للشرطة، فصار هو اللباس الرسمي لها، وأما غطاء الرأس، فهو غثرة وعقال حسب عادة الأهالي بدون قيد، ويوضع على صدر الشرطي الرقم تحت كلمة شرطي، ولا فرق بين شرطة المرور وشرطة المكوس في شعار الرأس.

وأما النساء، فكلهن مخدرات يرتدين العباءة، ويسدلن على وجوههن طرف الخمار أو مسدلاً آخر، ويتحلين بأنواع الحلي الفاخر من الذهب، وغالبه مرصع باللؤلؤ.

* * *

نهضة الكويت:

بعد أن أعلن (الدستور) أي تنظيم القوانين في الممالك العثمانية عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) شعرت الأمم الإسلامية، وبالأخص العربية بما هي فيه من الخمول والجهل بحقوقها، فأخذت تميط وتزيل عنها ما اعتراها من درن الجهل، وصدأ الغفلة، وكان الكويتيون كبقية إخوانهم من أهل الخليج في حضيض التأخر والانحطاط لوجود الأمية الضاربة أطنابها بين ربوعهم، فنهضوا من غفلتهم منذ عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م).

وأول شيء شرعوا فيه هو بثّ العلوم والمعارف حتى خطوا خطوات واسعة في مدة وجيزة، فتقدموا فيها تقدماً محسوساً، فشيدوا المدارس العلمية، والنوادي الأدبية، والدواوين السياسية، ففازوا بضالتهم المنشودة، وحملوا حملة رجل واحد على تمزيق ظلمات الجهل حتى أزاحوها عن أرجائهم، ولا يزالون يتعاضدون في تقدم بلادهم ورقيها، فالفرد والمجتمع منهم متّحدو الفكرة، وهدفهم واحد.

وقد نشأت فيهم روح عبقرية وطنية عجيبة، وهاك أسماء المدارس والدوائر على ترتيب إنشائها[1]:

(١) من الواضح هنا أن هناك ملزمة أو أكثر من الكتاب لم تطبع، فالمؤلف اشتكى أن البروفة الأولى لهذا الجزء سقطت منها الملزمة الخاصة بمبحث الحجيجة الثعلبية الذي لم نورده لأن لا علاقة مباشرة له بالكويت، والجزء المحذوف من الكتاب كان يحتوي فيما يبدو على أسماء المدارس والمؤسسات الأدبية في الكويت، ومن الواضح أن العمر لم يمهل النبهاني لمراجعة الكتاب، وطباعة ما أغفلت المطبعة وضعه ضمن هذا الجزء.

* * *

«انتهى المطبوع»

٢- نصوص مختارة من التحفة النبهانية:

اخترت هنا بعض النصوص من كتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية)، وانتقيتها من الأجزاء الثلاثة (البحرين والبصرة والمنتفق)[١]، والتي وجدتها متميزة في موضوعها أو طريفة في صياغتها:

* * *

رحلة النبهاني إلى بغداد:

وصف محمد بن خليفة النبهاني رحلته من البصرة إلى بغداد سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) كالآتي:

(في الباخرة المسماة (زبيدة)، والنولون[٢] ثماني ربيات هندية. أقلعت الباخرة بنا من مرفأ العَشّار يوم السبت بعد الظهر في ٢٩ محرم ١٣٤٣هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٤م)، فوصلنا القرنة الساعة واحدة ليلاً، ولم ننزلها، وفي صباح يوم الأحد حاذينا الموضع المسمى (الكسّارة)، وبه الأعراب يبيعون على المسافرين الدجاج والبيض، فاشترينا منهم ١٥ بيضة بقران (ربع ربية)، واشترينا كل دجاجة بقران أيضاً، والباخرة سائرة ملاصقة للجرف، والأعراب بحذائها يهرولون في البرّ يبارون الباخرة.

ثم بعد الظهر حاذينا الموضع المسمى (سليمان آغا)، وفي العصر حاذينا الموضع المسمى (أبا روبة)، وبه قبر يعرف بأبي روبة، ووصلنا ليلة الاثنين الساعة أربعة (قلعة صالح)، وبعد ساعة سافرنا منها.

وفي صباح يوم الاثنين وصلنا العمارة في ١ ص، وسافرنا منها بعد الظهر، وحاذينا الموضع المسمى (الكميت) الساعة ١١، وهو واقع في الجهة الغربية، وحاذينا بعد المغرب (علي الشرقي)، ووصلنا يوم الثلاثاء ضحى (علي الغربي)، ونزلنا البلدة، واشترينا منها ما يلزمنا من

(١) لم أختر نصوصاً من جزء الكويت مكتفياً بالمختصر الوارد في الملحق السابق.

(٢) أي أجرة السفر.

الطعام، وأخذنا حقة السمن بربيتين، وهو من أهم حاصلاتها وصادراتها.

ثم سافرنا منها بعد ساعة (٣ ص)، وعند الغروب وصلنا قرية تسمى (قنديلاً)، وربما سميت (الشيخ سعد)، ثم أقلعت باخرتنا منها بعد نصف ساعة، ووصلنا فجر يوم الأربعاء الكوت[١]، ولنقصان الماء في نهر دجلة زمن الصيف لم تتمكن الباخرة من الإرساء عند مرفأ الكوت، فأرست أمامه في الجانب الآخر عند قرية تسمى (الخان)، فنزلناها، واشترينا منها لوازمنا، وفيها سوق صغير محتوي على نحو ٤٠ دكاناً وقهوتين، وغالب بيعهم في الشعير، وهو مكدس على التراب بكثرة.

وبعد ساعة سافرنا منها، وحاذينا وقت العصر موضعاً فيه ضريح السيد عبد الله (ولم أعلم ابن من هو؟)، وهو يزار ويُتبرك به، وفي تلك الأرض عشائر قبيلة المير، ورئيسها محمد الياسين، وله بها قلعة حسنة في الجملة، وعند الغروب لحمت باخرتنا، فبتنا تلك الليلة في محلنا إلى ثاني يوم بعد الظهر حتى أقلعت وسارت، وعند الغروب وصلنا البغيلة، وهي في الجهة الغربية، ونزلناها، وبها ثلاثة أسواق حسان، وجامع ذو منارة مشرف على دجلة، وبها جملة قهاوي، وسوقها رائج.

وبعد ساعة سافرنا منها، وفي الساعة السادسة لحمت باخرتنا، فبتنا تلك الليلة حتى الصباح، ثم أقلعت وسارت، وفي آخر النهار حاذينا (العزيزية) في الجهة الشرقية، ورأينا أنقاضها المتهدمة زمن الحرب العظمى أثناء المعارك بين العثمانيين والانكليز، وقد أنشئ في شماليها قرية أخرى تدعى بذلك الاسم.

وفي يوم ٧ صفر ١٣٤٣هـ حاذينا (طاق كسرى)، فالتمسنا من ربان الباخرة أن ينزلنا إلى البر، ثم ينتظرنا في مرفأ (حذيفة بن اليمان)، فلبى طلبنا، فنزلنا إلى البر، ومشينا نحو ٢٠ دقيقة حتى وصلنا طاق كسرى، فذرعت عرض داخله، فوجدته ٥٥ ذراعاً باليد، وذرعت الطول، فوجدته ١١٠ أذرع، وأما طول سقف الطاق الأعلى، فالباقي منه نحو ٨٢ ذراعاً، وبجانبه جدار باقي من القصر عال، وفيها نقوش وعقود للطبقات يستفاد منها أن القصر كان مبنياً من خمس طبقات على الأقل إذا فرضنا أن الجدار الموجود هو نهاية الارتفاع، وأما إن تهدم من أعلاه شيء، فربما أن القصر كان ارتفاعه أكثر من خمس طبقات.

وبناء الطاق هو بالآجرّ الكبار، وارتفاعه بمقدار الجدار الموجود اليوم، وقد ارتقيت على

(١) نوه النبهاني في الهامش هنا إلى أنه يعني كوت العمارة، وليس مدينة الكوت المشهورة، وسمي كوت العمارة لأنه من ملحقات مدينة العمارة، ويسمى أيضاً كوت الأمارة لأنه كان مركزاً لبعض الأمراء.

ظهر الطاق على أطراف الآجر البارزة، فوجدته في غاية المتانة والإحكام مع قوة أطراف الآجر حيث أني وقفت على طرف آجرة بجسمي، وهززت نفسي عليها لأختبر قوتها، فما انكسرت، ولم يؤثر ثقل الجسم فيها شيء.[١]

ثم سرنا نحو ضريح (سلمان الفارسي)، وهو شمال الطاق على مسافة ربع ساعة، وعندها قرية فيها مدير مع قسم من الشرطة حذاء المسجد الذي فيه الضريح، وفي داخله قبة عظيمة على الضريح، ومكتوب على باب حجرة الضريح بخط كبير: (سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار)[٢]، وأمام باب الحجرة رواق للصلاة (طرمه)، ومنقوش على وجه عقد الطاق (طغره عثمانية) كبيرة مكتوبة (السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد)، وتحتها تاريخ التعمير (١٣٢٢هـ)، وفي وسط حوش المسجد حوض ماء له بزابيز للوضوء، ومكتوب على وجه باب الحوش من الخارج جهة الطريق: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم آله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[٣]، والتاريخ (١٣٢٣هـ)، وعنده بعض دكاكين وقهوة.

ثم سرنا عائدين نحو نهر دجلة، فوصلنا الجرف، وعلى حافته ضريح حذيفة بن اليمان في حجرة كبيرة، وفي شرقيها باب يفضي إلى حجرة صغيرة فيها ضريح عبد الله الأنصاري، وأمام الحجرتين رواق وحوش كبير، فزرناهما، وهذا الموضع واقع جنوبي غربي الطاق على مسافة ١٥ دقيقة.

وبقينا هناك إلى أن وصلتنا الباخرة، فركبناها، وسافرنا نحو بغداد، فوصلناها في ٩ صفر ١٣٤٣هـ (٨ سبتمبر ١٩٢٤م)، ونزلنا في فراش تحسين بك قدري في محلة الميدان (محلة البقشة)، وفي يوم الجمعة ذهبنا إلى جامع الشيخ عبد القادر، وصلينا فيه الجمعة، وزرنا ضريح الشيخ عبد القادر القيلاني.

وفي الجمعة الأخرى ركبنا عربة، وذهبنا إلى الأعظمية، وصلينا الجمعة في جامع الإمام أبي حنيفة، وزرنا ضريحه، ثم سرنا مشياً إلى نهر دجلة، وعبرنا في زورق إلى الجانب الآخر، وسرنا مشياً ٢٠ دقيقة حتى وصلنا الكاظمية، فزرنا ضريح موسى الكاظم وابنه محمد الجواد،

---

(١) تدلنا هذه الفقرة على روح الاستكشاف المثابرة التي كان النبهاني يملكها، وحرصه على استكشاف الحقائق بنفسه، ولعله ورث ذلك عن أبيه الذي غاص بئر زمزم ليكتشف بنفسه حقيقة عمقه ومنابعه.

(٢) سورة الرعد، آية ٢٤.

(٣) سورة الكهف، آية ١١٠.

وكلاهما في قفص في وسط حجرة كبيرة، وعليها قبتان متلاصقتان مصفحة من الخارج بالذهب، وكذلك المنائر، وأبواب الحجرة كلها مصفحة بألواح الذهب، وفي شمال الضريحين مسجد قيل أنه بناء الدولة الصفوية، وأمام أبواب الحجرة الثلاث أروقة، ومحاط بالكلّ حوش (صحن) مفروش بالحجارة الصماء.

وفي الجهة الجنوبية باب من وسط الصحن يفضي إلى جامع أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة. صلينا العصر فيه، وزرنا ضريح أبي يوسف، ثم عدنا إلى بغداد على سيارة كبيرة تجرها الخيل، ومدارجها مركبّة على قضيب من حديد ممتدّ على الأرض بين البلدتين كقضب القطار.

ثم بارحنا بغداد في ٢٥ صفر ١٣٤٣هـ (٢٤ سبتمبر ١٩٢٤م) في الباخرة المسماة (مجيدية)، وفي ٢٦ صفر وصلنا الكوت، ورأيناه من بُعد، وكانت تُبنى منارة مسجده التي تهدمت في زمن حصر الجنود الإنكليزية فيه، ونزلنا قرية الخان، وبعد ساعة سافرنا منها، وفي آخر حاذينا (السن) الذي كانت الجنود العثمانية مرابطة فيه لمحاصرة الكوت.[١]

* * *

صفة الغوص للؤلؤ:

أوردت صفة الغوص، وإن كانت معلومة لأني اطلعت على رحلة ابن بطوطة، فرأيته وصف مغاص الجواهر بخلاف ما هو مشاهد اليوم، والكمال لله.

(تنبيه): ذكرنا الأسماء بحسب ما اصطلح عليه أرباب الصناعة منهم، فنقول أن سفنهم اليوم نوعان (سنبوق، وجالبوت)، وكان في السابق لهم سفن متنوعة يسمونها (بغلة، بتيّل، بوم، بقّارة)، وهذه قلّ استعمالها اليوم، واكتفوا بالنوعين المذكورين، ويعبرون عن مجموع السفن (بالخشب)، وعددها يتراوح بين (٣ و٤ آلاف سفينة)، ويعبرون عن ابتداء الغوص (بالركبة)، وعن الانتهاء (بالقُفال)، ويسمون اللؤلؤ (قماشاً)، والجواهر (دانات)، فإذا مضى برج من فصل الربيع يخرجون في سفنهم إلى البحر، كل سفينة بحسب ما تسع من الغائصين تحت رياسة (النوخذة)، ويسمون الغائص (غَيصاً)، والذي يجرّ حبال الغائص (سيباً)، والمساعد لهما (رضيفاً)، والذي يكون أصغر من الرضيف يسمى (تبّاباً).

وتخرج جميع السفن إلى البحر في مواضع مختلفة العمق، ولها أسماء معروفة بينهم

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٨٥.

بُعدها عن البرّ نحو ٣٠ ميلاً، وعمق المغاصات يتراوح بين (٣ إلى ١٤) باعاً، وأما مغاصات بحر عمان، فيبلغ عمقها نحو ٢٠ باعاً، ولكن الغائصون بها قليلون لمشقة عمق البحر.

وأما هيئة الغوص، فهو أن الشخص ينزل من السفينة، فيقف على وجه البحر طافياً على الماء، على أن يجعل في أنفه شيئاً مثل الملقاط يسمونه (فطاماً)، وهو مصنوع من قرون الوعل، أو من (الذبل) أي عظم السلحفاة، ليمنع التنفس ما دام غائصاً، فإذا خرج من البحر جذبه من أنفه بسرعة وتنفس، وعند نزوله إلى قعر البحر يجعل في إحدى رجليه رصاصة، أو حجراً وزنه من (١٢ إلى ١٤) رطلاً حسب مطلوب الغائص، لتسرع به في النزول إلى قعر البحر، فإذا وصل نزعها من رجله، فيسحبها السيب الذي في السفينة، لأن بها حبلاً متصلاً بالسفينة يسمى (زبيلاً)، وتعلق الرصاصة بطرف السفينة في المقذاف.

ويصحب الغائص معه زنبيلاً معمولاً من حبال الكنبار مشبكاً على صفة الغربال إلا أن خروقه واسعة جداً يسمونه (ديّيناً)، وبه عروة يجعلها الغائص في عنقه تسمى (علقة)، ومربوط بها حبل يسمى (جِداء) متصلاً ذلك الحبل بالسفينة، فيصير مجموع الحبلين في يد السيب، ويجعل الغائص في الغالب في أصابع يده جلداً يسمى (خبَطاً)، فيقتلع من الأرض الصدف، فيجعله في الديين، ويمشي على يديه في قعر البحر، ورجلاه مرفوعتان إلى العلوّ بطبيعة الماء، وحبل الديين بين إبهامي رجله، فإذا امتلأ الديين صدفاً أو تضايق نفس الغائص جذب الحبل برجله بقوة، فيسحبه السيب، وهو ماسك في حبل الديين، (وإذا جذب الغائص الحبل برجله وهو في البحر، قالوا تَبر)، فإذا ارتفع على وجه الماء أخرج الفطام من أنفه، ويضع كفيه على وجهه، ويفك يده من السفينة، فتسير به الرصاصة إلى قعر البحر.

ويستقيم الغائص تحت الماء نحو عشر دقائق، وما قيل من أنه يستقيم نحو ساعة، فلا صحة له، ويسمون المرة الواحدة من النزول إلى البحر والصعود منه (تَبَّة)، وأيضاً إذا وصل الغائص قعر البحر فتح عينيه ليلتقط الصدف، ويعرف ربعه، ويتكلمون مع بعضهم في الماء بالمغمغة، وما قيل أنهم يجعلون على وجوههم وقاية سوى ما ذكرناه من الفطام في الأنف، فغير صحيح.

ولا يزالون يغوصون إلى أن يكتفوا أو تغرب الشمس، فإذا اكتفوا قبل الغروب شرعوا يفلقون الصدف، ويسمونه محاراً، ويخرجون ما يجدونه في الصدف من اللؤلؤ إلى الغروب، ثم يستريحون، فإذا أصبحوا فلقوا الباقي من الصدف، وبعد الفراغ يشرعون في الغوص، وهكذا إلى أن يخلص زادهم أو ماؤهم، فيأتون البلد، ويتزودون منها بمقدار ما يكفيهم نحو شهر، وهكذا

إلى أن ينتهي زمن الصيف، فيرجعون كلهم في يوم واحد يعيّنه لهم الحاكم، ومن يتأخر يُعاقب.

فإن أصابهم في مدة الغوص ريح عاصف قلعوا من أماكن الغوص، وتقربوا إلى البرّ بين الشعاب في مواضع يسمونها (الفَشْت)، إلى أن يهدأ الريح، ثم يعودون لمحل غوصهم، ويسمونه (هيراً).

ويجعلون جميع ما يتحصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخذة، وهو يتولى بيعه، ويأخذ من جميعه الخُمس، ثم يقسم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص، فيعطي الغايص ٦٠ في المائة، والسيب ٤٠ في المائة، والرظيف ٢٠ في المائة. أي أن كل رظيفين يعدّ عن سيب واحد، وأما التباب، فليس له شيء سوى فائدة التمرين على الغوص، وما أكله في بطنه فقط.

وإن أهل البحرين إذا أقبل فصل الربيع يظهرون صغارهم إلى ساحل البحر في عمق ذراع فأكثر، ليستلقطوا ما يجدونه من الصدف في كل يوم، ويسمون هذه الهيئة (المجنَّي)، فإن أبحروا، وغابوا عن أهلهم بالسفن نحو يومين يسمونه (العَزاب)، لعزوبهم عن البلدة، أي بعدهم عنها، فإذا استعدوا بسفنهم، وأبحروا بها على صفة الغوص، وغابوا نحو أسبوعين يسمونها (خانجية).

فإذا مضى شطر من برج الثور تهيئوا للغوص العام، وخرجوا في اليوم الذي يعينه لهم الحاكم.

فإن أحبّ أحد أن يجعل ما يخرجه من الصدف على حدة، ثم يبيعه بنفسه، ويعطي من ثمنه الخُمس للنوخذة، وقيمة الزاد الذي أكله، فيسمونه (عَزّالاً)، فإذا دخل برج الميزان ينتهي الغوص العام، فيأتون جميعاً إلى البلدة، ويبيع النوخذة ما عندهم من اللؤلؤ، ويتحاسبون مع (الجزوى)، أي مع أهل هيئة الغائصين.

ثم يوجد منهم بعض أفراد يرجعون إلى الغوص مرة ثانية اختيارياً، ويكابدون مشقة البرد نحو شهر، فيسمونهم (ردّادة)، ويوجد أيضاً بعض أفراد من تجار العرب يخرجون بسفنهم إلى أماكن الغوص، فيشترون من النواخذة بعض الجواهر بالنقود، وربما أعطوهم بدل القيمة تمراً أو رزاً، وهو أحسن للنوخذة من مشقة الذهاب إلى البلدة للتزود منها، فيضيع عليه الوقت نحو أسبوع، فهؤلاء التجار يقال لهم (طواويش)، وهم يجمعون اللؤلؤ، ويبوّبونه، ثم يبيعونه على بعضهم بعضاً، فينحصر في أفراد قليلين، فيسافرون به إلى الهند ليبيعونه هناك.

ويوجد أيضاً قسم من الطواويش على سواحل البلدة يستقبلون كل سفينة تقدم إلى البلدة للتزود، فيشترون منها ما يريدون، ثم يبيعونه في البلدة على بعض الأوربيين، أو على البونيان[١] الآتين إلى البحرين خصيصاً لشراء اللؤلؤ.[٢]

* * *

انقراض دولة الجبري:

يقال أن سبب انقراض دولة الشيخ الجبري[٣] من البحرين هو أنه كان مغرماً بالنساء، لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى في طلبها، إلى أن يتمكن منها حلالاً أو حراماً، فوافق في بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق، ودقة الخصر الرائق، وقال أنها إذا استلقت على ظهرها يمكن أن تمرّ الرمانة من تحت خصرها.[٤]

فتعجب الشيخ الجبري من ذلك، وقال: هل توجد امرأة اليوم بمثل ما وصفت. قال: إن زوجة وزيرك الشيخ فرير هي أكمل حسناً مما ذكرنا، فشغف الشيخ الجبري بها، وتاقت نفسه لرؤيتها، ولو مرة، فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة.[٥]

وبعد مضيّه بعث إلى زوجة الوزير المذكور، وأمرها أن تتهيأ لمجيء الحاكم إليها في ليلة معينة، وشدّد الطلب عليها في ذلك، فخافت من بطشه، فأجابت طلبه، فلما أتى الحاكم إلى منزلها ليلاً زفّت له جارية من خدمها[٦]، فنام الحاكم معها حتى الصباح ظناً أنها هي زوجة وزيره الموصوفة بالحسن، لكنه لم يجدها على وصفت له.

فلما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى، وأنها قد خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم إليه، فشكرها زوجها على حسن صنيعها، وصيانة نفسها.

---

(١) البونيان هم الهنود الهندوس.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٥.

(٣) للباحث جلال آل هارون بحث في مجلة الواحة أثبت فيه أن الشيخ المقصود هو جبارة الهولي، وليس أحد السلاطين الجبريين في الأحساء.

(٤) لاحظ الشبه هنا مع قصة معروفة للشاعر نمر العدوان في وصف جمال زوجته وضحا، والتي قيل بسببها مثل: (هذا بلا أبوك يا عقاب).

(٥) اقتباس من القصة التوراتية المزعومة حول سيدنا داود وقائده.

(٦) هذه الخدعة اقتباس من حادثة مماثلة جرت في سيرة الضياغم مع سلطان مارد.

ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم، وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة، فانغلب الوزير، فارتجل الحاكم هذين البيتين (من النبط):

ذيبٍ سرى في ظلام الليل: كل شاتك كل اللحم والشحم واروى مشاشاته

إن ردت لامـاه لا تطري ليا شانه الصاحب اللي بعد تهوى مماشاته[١]

معرضاً فيهما بقصته مع زوجة الوزير، ففهم الوزير مرمى كلام الحاكم، وتألم من ذلك. ثم أنه جد في اللعب حتى غلب الحاكم، وأظهر الوزير السرور، وأنشد أبياتا منها:

يا من حبل للبطوط واصطاد عنقوده هـذاك بين الخلائق شـاع مفقوده

قاصداً بها إجابة الحاكم، فشعر الحاكم بالقضية، وعرف بأنه خدع، وتحقق لديه ما مر بخاطره حين اضطجاعه تلك الليلة في بيت الوزير، فحنق لذلك، وسل سيفه، وجندل وزيره في الحال، لأن المسألة وافقت المثل: (لا عازة انقضت، ولا سرّ انكتم).

فلما خبرت زوجة الوزير بقتله للقضية المذكورة خافت على نفسها، وفرّت إلى دارين، وشرعت في تدبير الأخذ بثأر زوجها، فأمرت صائغاً يصوغ لها صحناً من فضة، ويجعل في وسطه نخلاً من ذهب طول ذراع مثمراً ذلك النخل بالجواهر الفاخرة[٢]، فلما كمل على أحسن ما يرام قدمته للشاه عباس الثاني الصفوي، وأغرته على استيلاء البحرين، وقالت للرسول: «قل له ينظر إلى أرض البحرين، وإلى شجرها، وإلى ثمرها، وهذه الهدية عنوان على ذلك».

فتاقت نفس الشاه عباس للبلدة، وأمر عامله الذي في شيراز، واسمه (الله ويردى خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب، فجمع (ويردي خان) جموعاً من أهل المحمرة، ومن أهل القُصبة، وجهّزهم تحت قيادة (خاجا معين الدين الغالي)، فسار بهم نحو البحرين، فبرز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل أبي مهير، فتقابل الجمعان، وحصلت بينهما معركة شديدة قُتل فيها الشيخ الجبري، وتفرقت جموعه، فكان هو آخر الحكام من الجبريين بالبحرين،

---

(١) قدمت عجز البيت هنا، وأخرت صدره لتستقيم القافية.

(٢) في سنة ١٩٢٧م أهدى نائب حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة للشاعر أحمد شوقي نخلة بهذه الصفة بمناسبة مبايعته أميراً للشعراء، وكان طولها ٣٠ سم، وجذعها وسعفها من الذهب الخالص، وثمرها من اللؤلؤ، ومعها بيتين للشاعر خالد الفرج يقول فيهما:

من منبت الدرّ تسليمٌ وتكريمُ = لشاعر اللغة الفصحى وتقديمُ

حيّاك من دارنا البحرين لؤلؤها = والنخل إذ بسمت فيه الأكاميم

فرد شوقي:

قلّدتني الملوك من لؤلؤ البحرين = آلاءها من مرجانه

نخلةٌ لا تزال في الشرق معنى = من بداوته ومن عمرانه

وانضمت البحرين إلى مملكة الشاه عباس.

وهكذا سمت همة هذه المرأة الفاضلة حتى أخذت بثأرها، وانتصفت لنفسها ولزوجها.[١]

* * *

مقتل رحمة الجلاهمة:

رغم ما أصاب رحمة الجلاهمة من الفشل والاندحار في الوقائع المتقدمة زمن الشيخ سلمان، لم يقنط من أخذ الثأر، ولم تقعد همته عن الأمل بالفوز، ونوال الأمنية، فأعاد الكرّة بقطع طرق البحرين بقتل الأنفس وسلب الأموال.

فلما كانت سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م) دخل ذات يوم القطيف بسفينته المسماة (غطروشة)، فجرد عليه الشيخ عبد الله السفن مملوءة بالمقاتلة، وخرج بنفسه يقودها، وبمعيته الشيخ أحمد بن سلمان، فلما وصلوا ميناء القطيف حاصروه هناك.

فلما رأى رحمة أنه قد أحيط به شمّر عن ساعد الجدّ، وأمر برفع شراع سفينته، وأقبل بها عليهم موجهاً صدر سفينته على وسط كل سفينة تعارضه لأجل أن يكسرها، فتغرق، فتنحى الكل عنه حتى خرج إلى عرض البحر، فكرّوا عليه، وأحدقوا به من كل جانب، وجعلوا يهاجمونه بصدور سفنهم في بادئ الأمر كعادتهم في الحرب البحري في السفن.

وكان رحمة قد كفّ بصره في آخر عمره، فجعل يسأل قومه عن السفن الهاجمة عليه، ومن رئيسها، فيخبروه، وهو يقول: (هذا لا يجسر على مقابلتنا، وهذا سفينته ما تلحقنا)، ومع ذلك، فإطلاق الرصاص من البنادق متبادل بين الطرفين حتى أقبلت سفينته، فأخبروه بأن رئيسها الشيخ أحمد بن سلمان، فقال: (هذا يطابقنا ولا بد، لأن جانبه لم يلامس ناعمات الأبدان)، أراد بذلك أنه لم يتزوج، وفي المثل (مفعول الشباب أمضى من حد السنان).

وبعد قتال شديد لاصقت سفينة الشيخ أحمد المذكور سفينة رحمة، فتجالد الفريقان بالسيوف، واشتد بينهم الضرب والطعان، وتقارعا بأنواع الأسلحة الحديدية.

وكان بجانب رحمة ابن له صغير، وعبده المسمى (طراراً) واقف على رأسه، فجعل يسألهما عن المصادمات، وعمن قتل، حتى وصل أعداؤه إلى (الصاري)، أي الدقل، ثم إلى

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٠٩.

الحاشية، ثم إلى (النيم)، أي سطح مؤخر السفينة، وكان حينئذ جالساً في خزانة السفينة، فأخذ ابنه، وجعله في حجره، ثم عمد إلى نار في رأس (النارجيلة) التي كان يشرب منها الدخان، فألقاها في ذخيرة البارود التي كانت تحته، فانفجرت السفينة بهم، وقتل هو وابنه ومن معهما متأسياً بقول الزباء: (بيدي لا بيد عمرو).[١]

* * *

أعاجيب البصرة الثلاثة:

أعجوبة، وهي أن الذباب في الصيف قليل مع كثرة تمرها، وبالأخص في بيادر التمر، ومعاصر الدبس، فلا يوجد فيه ذبابة إلا ما قلّ، وإنما يكثر على تمرها الدبر (الزنبور).

الأعجوبة الثانية: أن الغربان القواطع يجيء منها في الخريف ما يسوّد رؤوس النخل، ولكنها لم تقع إلا على النخل المصروم.[٢]

الثالثة: هو أنه لما كنت في البصرة الفيحاء وصلها رجل طويل سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م) للتداوي بها لحدوث خلل في ركبته، فدخل المستشفى، فبالغ الناس في طوله مبالغة خارجة عن المعقول، فتلمست من صهري محمود بيك[٣] بأن يأخذ رسم هذا الرجل بالتصوير الشمسي، ويأخذ مساحات أعضائه بالمتر، ففعل، فالرجل يسمى حمود من بني لام، وعمره إذ ذاك ٢٨ سنة.

سم	
٢ ٢٥	طول قامته
١ ٢٥	طول رجله

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٥٠.

(٢) هاتان الأعجوبتان نقلهما النبهاني عن معجم البلدان، بينما الأعجوبة الثالثة عن الرجل العملاق من مشاهداته الشخصية.

(٣) يوضح النبهاني هنا أنه له صهراً هو محمود بيك، ولعله محمود بيك بن كاظم بيك باش كاتب غرفة التجارة في البصرة الذي نشر النبهاني صورته في جزء البصرة (ص٥٥)، ومما يؤيد ذلك هو أن محمود بيك هذا هو أخو أحمد جودت صاحب جريدة المنبر صديق النبهاني، وكلمة صهر قد تفيد أنه زوج ابنة النبهاني أو أن النبهاني متزوج من أخته، وهذا الراجح.

١١٠	طول يده
١٥	طول أحد أصابعه
١٥	تدوير وجهه
٥٧	عرض ما بين أكتافه
٣٣	طول قدمه
٨	غلظ أصابع يده
٦٦	تدوير رأسه

فهذه حقيقة مساحات أعضائه. أتى البصرة لمداواة ركبته، وهذه صورته مرسوماً مع شخص يسمى سليم طوله ١٧٠.[١]

* * *

مقتل الضابط البريطاني «لجمن»:

«لجمن» هذا، هو الذي قتله الشيخ ضاري بن محمود رئيس عشيرة الزوبع. وذلك أنه في سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) حدثت ثورات في العراق المراد منها طلب الاستقلال التام، وأهمها ما قامت به عشيرة الزوبع حيث أدت إلى طلب الكولونيل لجمن حاكم منطقة لواء الديلم السياسي حضور رئيس قبيلة الزوبع الشيخ ضاري للمقابلة في خان النقطة الواقع بين بغداد وفلوجة.

فامتثل الشيخ ضاري الأمر، وجاء بنفسه لمواجهة الحاكم في ٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (١٢ أغسطس ١٩٢٠م)، وكان بصحبته ابنه خميس، وثلة من رجاله، وقعد عند مدخل الخان الذي كانت تحتله قوة من الشرطة، لأن الحاكم لجمن لم يكن حاضراً، وبعد برهة من الزمن حضر ومعه خادمه وسائق (جواله)، فدخل واصطحب معه الشيخ ضاري إلى داخل الخان، وأخذا يتحدثان في شأن الزراعة ومحصولاتها.

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٥٨.

وبينما هما كذلك إذ أقبلت جماعة من الأعراب مخبرة بأن عصابة من اللصوص هاجمتهم في الطريق، فسلبتهم بعض مؤنهم، فأصدر الحاكم في الحال الأمر إلى ضابط الدرك بالمسير مع قسم من رجال الدرك لتعقب العصابة القاطعة للطريق، وأمره أيضاً بأن يصحب معه بضعة من رجال الشيخ ضاري، فصدع بالأمر، وسار نحو العصابة، ثم بعد ذلك جعل الكولونيل لجمن يعاتب الشيخ ضاري، ويوبخه على التعصب، ثم أغلظ القول معه حتى أمسّ بعواطفه، ثم ألقى على عاتقه تبعة الإخلال بالأمن، ونسب إليه وإلى قومه وقوع تلك الحادثة.

فتأثر الشيخ ضاري من حملات الحاكم المؤلمة عليه، فاستأذن للخروج، فأذن له. ثم بعد هنيهة عاد، فاستأذن الخفير بالدخول على الحاكم، فأذن له، فدخل عليه ومعه ابنه (خميس) ورجل آخر من أفراد أسرته، وعندما عاينوا لجمن بادر خميس بإطلاق الرصاص عليه، فخرّ مترديا، ونظر إلى الشيخ ضاري قائلاً له: (إلى هذا الحد تبلغ بك الخيانة)، فعند ذلك ضربه الشيخ ضاري بسيفه، فقضى على حياته.

وبقتله انهدم أعظم أركان الجيوش المحتلة، لأنه كان من كبار الضباط البريطانيين العارفين بأحوال العراق وتقاليد أهله معرفة واسعة، لا سيما وأنه معدود أيضاً في فحول الرجال الذين اشتركوا في المعارك التركية الانكليزية في العراق، فأظهر فيها مهارة تامة.

ثم بعد مدة أرسلت الحكومة البريطانية قسماً من الجنود إلى خان النقطة، وأطلقت مدافعها على قلعة الشيخ ضاري، فنسفتها في ٦ محرم ١٣٣٩هـ (٢٠ سبتمبر ١٩٢٠م)، وقطعت الماء عن مزارعه، فذهب وانضم مع الثوار في أواسط الفرات، إلى أن نال العراق استقلاله في ١٣٣٩هـ (١٩٢١م).

ولما حصل العفو العام عن جميع السياسيين والمجرمين لم يشمله ذلك العفو، فترفع مع قومه إلى خارج الحدود العراقية، وظل هناك إلى سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) حيث هاض عليه مرضه المزمن، فاستحسن الذهاب لسورية ليتداوى فيها، واستأجر (جوالاً) كان سائقه أرمنياً، وتوجه نحو الشام، فخانه سائق الجوال، وعكف به نحو العراق حتى أنزله عند مخفر في الحدود، فألقي القبض عليه في جمادى الآخرة من العام المذكور، وأرسل تحت المحافظة إلى بغداد حيث حوكم وهو مريض، ثم حكم عليه بالسجن الأبدي مع تحميله المشاق.

فقضى نحبه في السجن بعد الحكم عليه بيوم واحد، وذلك في ٣ شعبان ١٣٤٦هـ (٢٥ يناير ١٩٢٨م)، فارتجت لموته بغداد، وحصلت فيها مظاهرات شديدة عجيبة الهيئة نشرت

تفاصيلها الجرائد والمجلات، ودفن بجوار ضريح (الشيخ معروف الكرخي).[١]

* * *

المعمّر أبو سريح:

(علي أبو سريح) المعمّر.. هو من أهل نجد من الحوطة من وادي الدواسر. أتى البصرة سنة ١٢٧٥هـ، ثم استوطن قصبة الزبير، فيخبر عن نفسه بأنه كان فتى شاباً يحمل السلاح في إبان محاربة إبراهيم باشا المصري للدرعية سنة ١٢٣٣هـ.

وعلى ذلك، فتكون ولادته عام ١٢١٥هـ تقريباً، فيبلغ عمره اليوم (١٢٩)، وهو شديد البنية لا يحتاج إلى حمل العصا، بل أنه يأتي غالباً من قصبة الزبير إلى البصرة مشياً على قدميه، وهي مسافة نحو عشرة أميال، وأن أسنانه وثناياه باقية قوية، وبصره حاد قوي، وإنما حصل في سمعه بعض الثقل فقط، وهو رجل ديّن يتهجد في سدس الليل الأخير يتلو القرآن في الصلاة بترتيل حسن ذي خشوع ورقة.[٢]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٦٢.

(٢) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٢٦.

٣- الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية:

جزء البحرين:

١- المؤلف الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ خليفة النبهاني، وأحمد جودت بيك بن علي كاظم بيك صاحب جريدة المنبر الغراء البصرية. أخذ رسمهما بالبصرة سنة ١٣٣١هـ.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٩.

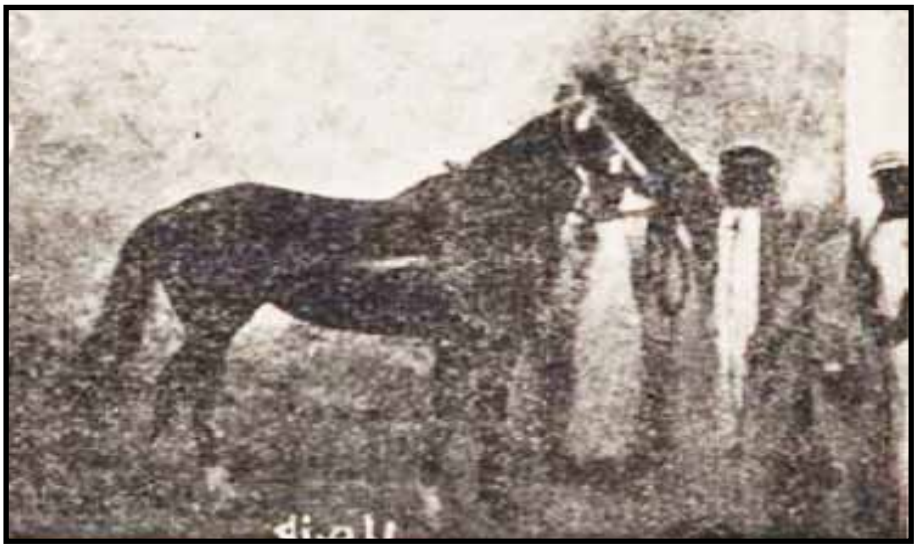

٢- هذه الفرس المسماة (المصنة)، وهي من مشاهير خيل العرب، وهي ملك للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٣١.

٣- المؤلف الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة آل نبهان بزيّ أسلافه، وعلى يده (صقر) حر في حالة القنص بالطيور.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٣٥.

٤- سمو الشيخ محمد ابن ذي العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٦٥.

٥- سمو الشيخ محمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٦٧.

٦- سمو الشيخ راشد ابن المعظم سمو الشيخ محمد ابن الشيخ عيسى آل خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٦٩.

٧- سمو الشيخ حمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٧٣.

٨- علامة الحجاز الشيخ خليفة بن حمد النبهاني. بلبسه في الفيافي أثناء تجوله في وادي نعمان لهندسة (عين زبيدة). أخذ رسمه سنة ١٣٤٢هـ.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٦٨.

٩- المؤلف الشيخ محمد بن العلامة الشيخ خليفة النبهاني بزي أسلافه. أخذ رسمه سنة ١٣٤٠هـ بالبحرين.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص١٧٥.

١٠- ناصر بن أحمد حاجب الحاكم.[١]

١١- صاحب العظمة سمو الشيخ حمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٠١.

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٠٣.

١٢- سمو الشيخ سلمان ابن الشيخ حمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٠٧.

١٣- أبناء الشيخ حمد الثلاثة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١٠.

١٤- دعيج ابن الشيخ حمد، وعن يساره حاجب أبيه عبد الله بن جبر.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١١.

١٥- حاجب الشيخ حمد: عبد الله بن جبر الدوسري.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١٣.

١٦- سمو الشيخ محمد ابن المعظم الشيخ عيسى بن علي.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١٥.

١٧- الشيخ حمد ابن سمو الشيخ محمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢١٩.

١٨- الشيخ علي ابن سمو الشيخ محمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢١.

١٩- الشيخ راشد ابن سمو الشيخ محمد.[١]

٢٠- محمد بن صالح حاجب سمو الشيخ محمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٣.

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٥.

٢١- جاسم بن محمد النبهاني الحاجب الثاني لسمو الشيخ محمد، والواقفان بجانبيه من رؤساء قبائل دبي.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٧.

٢٢- سمو الشيخ عبد الله ابن المعظم الشيخ عيسى، وعن يساره نجله سمو الشيخ محمد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٩.

٢٣- سمو الشيخ سلمان بن خليفة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٢٣.

٢٤- سعد بن الشيخ عبد الله بن شملان مع ابنيه عبد اللطيف وعبد العزيز.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين، ص٢٥٣.

جزء البصرة:

٢٥- صورة مؤلف الكتاب.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١.

٢٦- يوسف باشا الزهير.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٢٠.

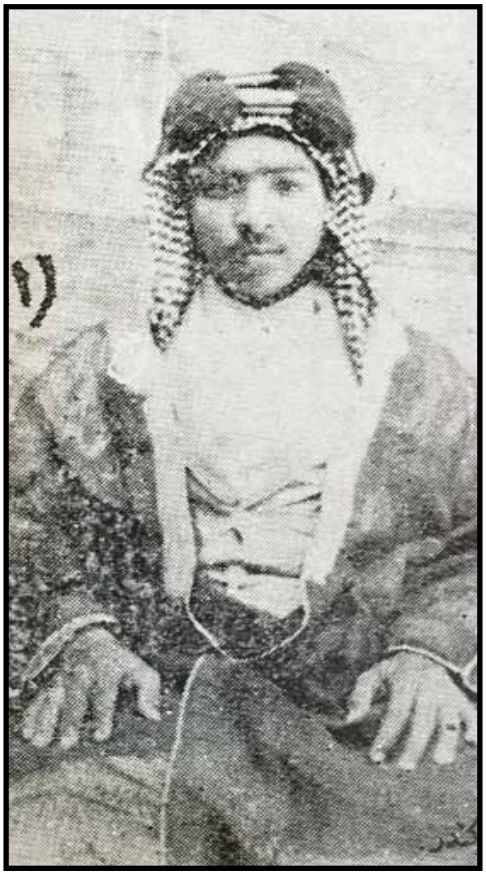

٢٧- صالح بن الحاج يوسف الشريدة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٢٤.

٢٨- محمود بيك بن علي كاظم بيك.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٥٥.

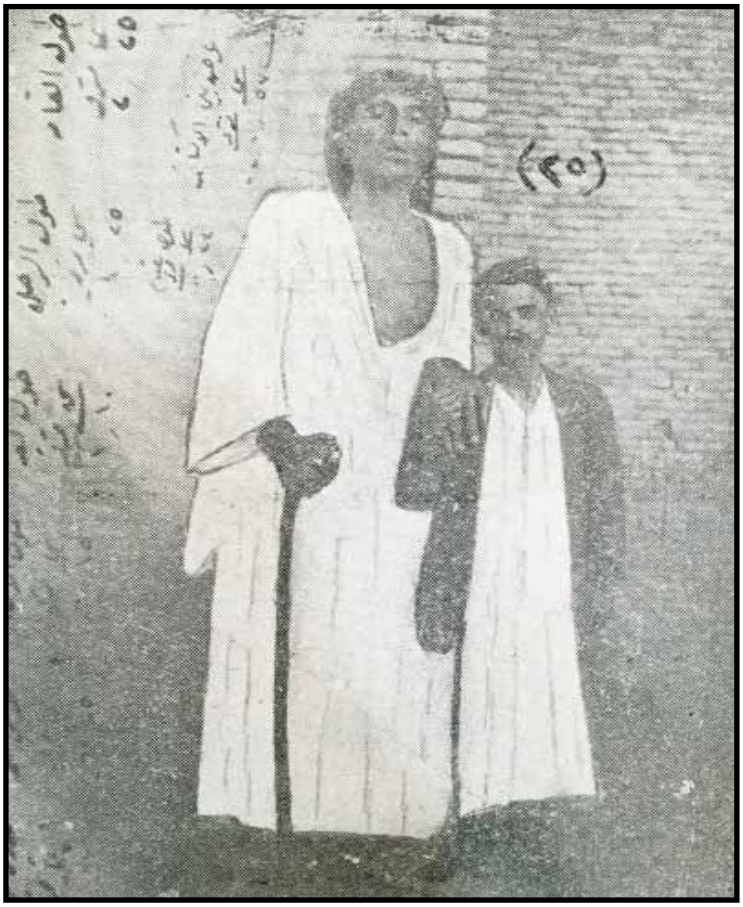

٢٩- حمود اللامي طويل القامة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٦٠.

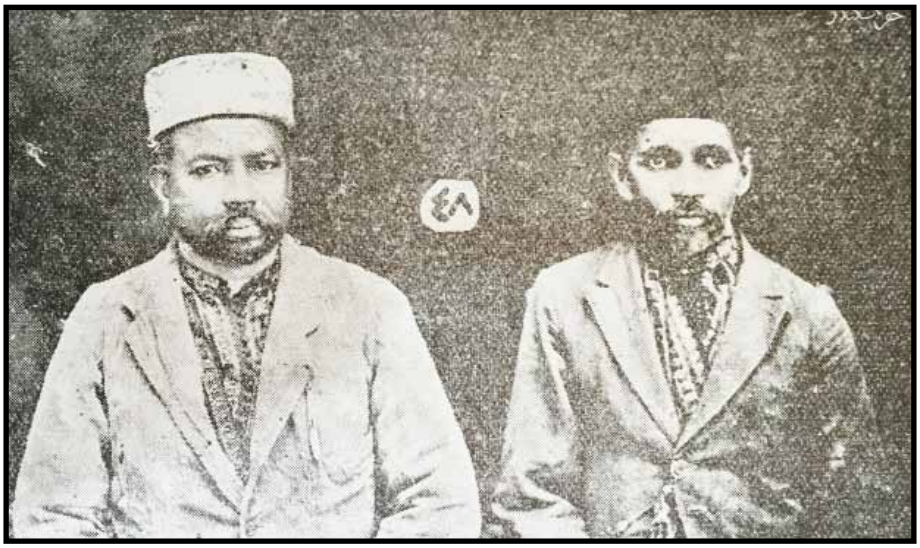

٣٠- الحاج ملا عبد الرحمن، والحاج محمد، ابنا الحاج خدى بخش.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٦٩.

٣١- محمد صالح أفندي الكركوكي الضابط الشرطي بالبصرة سابقاً.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٧٣.

٣٢- الحاج إبراهيم عبد اللطيف الزهير، والواقفان ابناه، عن يمينه عبد المجيد، وعن يساره خليل.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١١١.

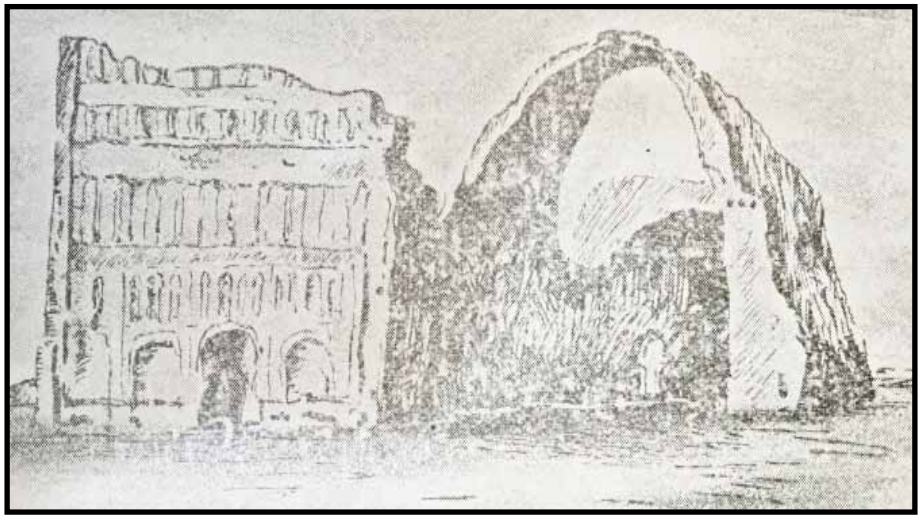

٣٣- طاق كسرى.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٣١.

٣٤- هارون الرشيد.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٨٧.

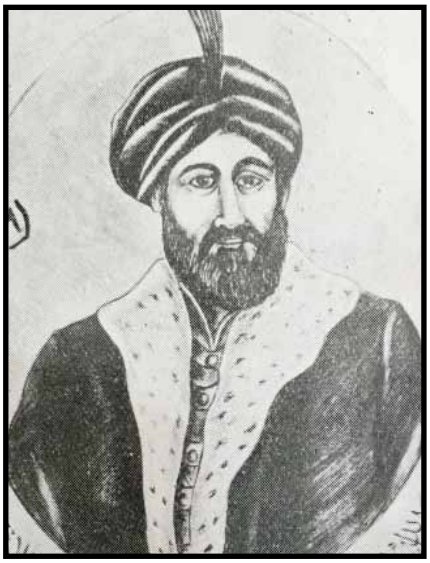

٣٥- المأمون.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص١٩٢.

٣٦- السلطان سليم الأول فاتح مصر والعراق (٩١٨ - ٩٢٦هـ).[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٢٦٠.

٣٧- السلطان مراد الرابع فاتح بغداد (١٠٣٢ - ١٠٤٩هـ).[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٢٦٠.

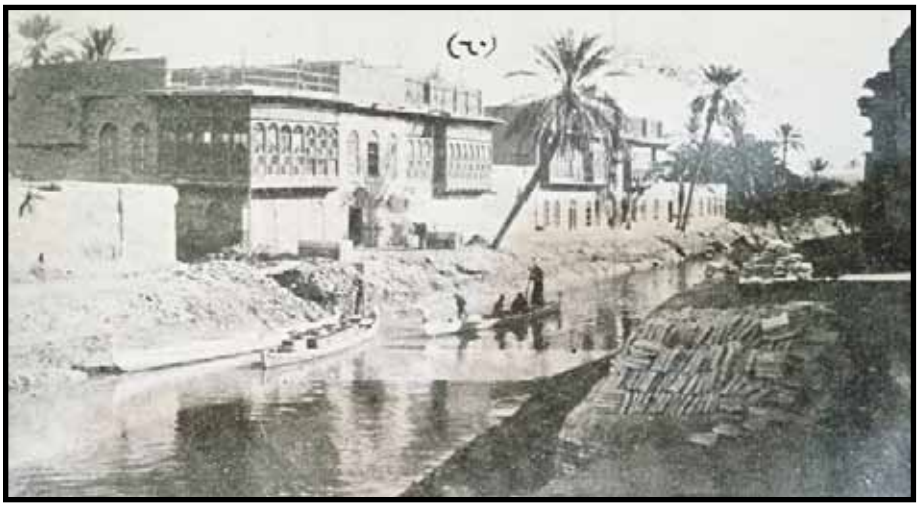

٣٨- منظر في محلة السبخة الكبيرة في داخل البصرة على نهر العشار، وترى أمامه زورقاً فيه (مثاعب) لنقل الماء العذب من شط العرب، وذلك قبل وضع المضخة، ومد الأقنية في داخل البصرة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣١٧.

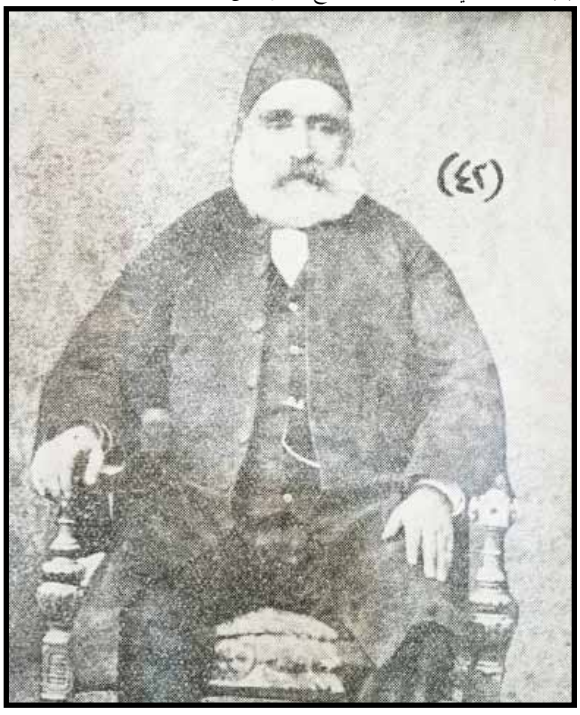

٣٩- قاسم باشا الزهير بن محمد جلبي بن عثمان. ولد بحلب سنة ١٢٥٢هـ، واستوطن البصرة سنة ١٢٦٢هـ، وصار رئيس محكمة التجارة بعد والده سنة ١٢٨٦هـ، وصار من أعضاء شورى الدولة سنة ١٣٠٢هـ، وتوفي بالأستانة سنة ١٣٠٤هـ.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ٣٢٣.

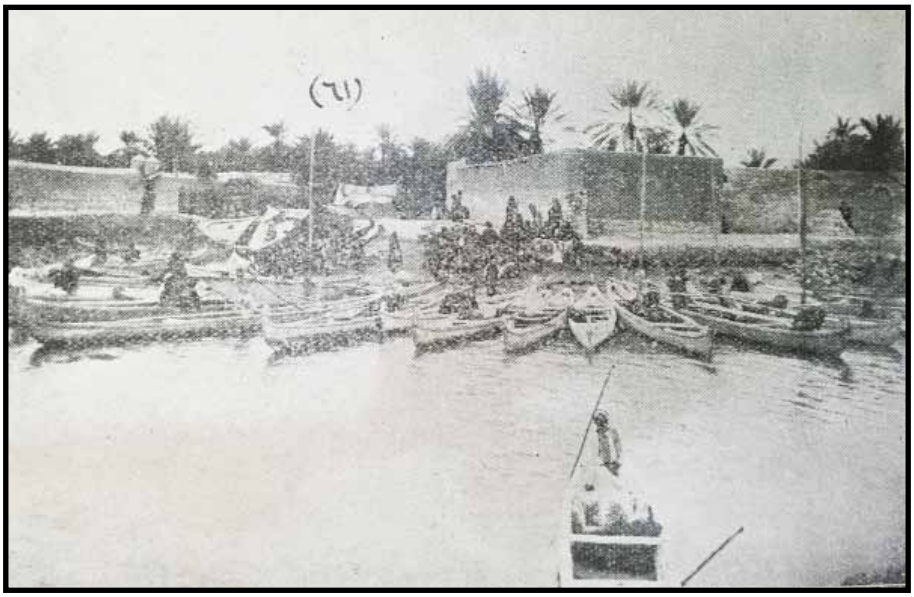

٤٠- مرسى الزوارق في صدر نهر الخندق.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٢٧.

٤١- منظر على نهر العشار ملاصقاً مخفر الرشادية.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٣٢.

٤٢- أحمد باشا بن قاسم الزهير.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٣٣

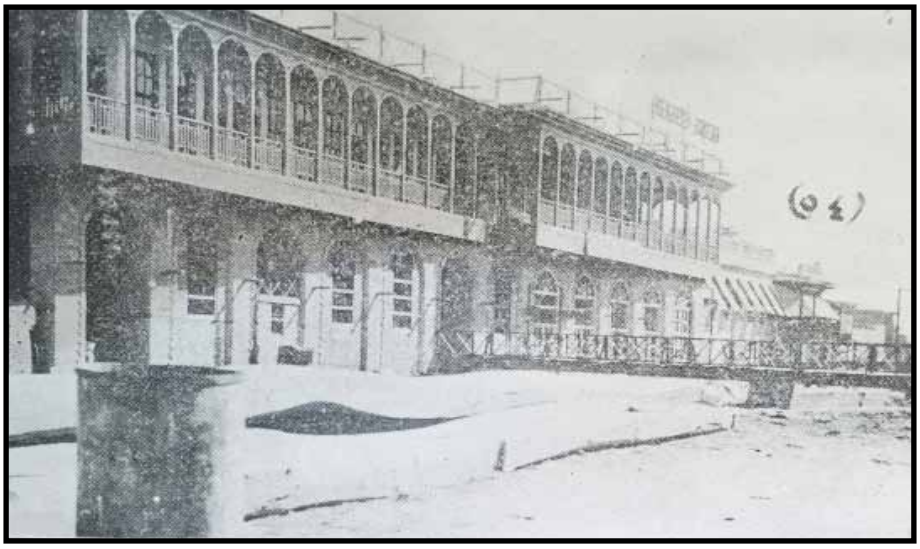

٤٣- النويّ الشرقي في محلة السبخة الصغيرة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٣٧.

٤٤- مدخل نهر العشار ومنار مسجد مقام علي العتيقة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٣٩.

٤٥- رئيس بلدية البصرة سابقاً المرحوم عبد المحسن باشا الزهير.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٤٣.

٤٦- الشيخ مبارك والشيخ عبد الله، ابنا سمو الشيخ حمد حاكم البحرين لابسان الزي المدرسي.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٤٨.

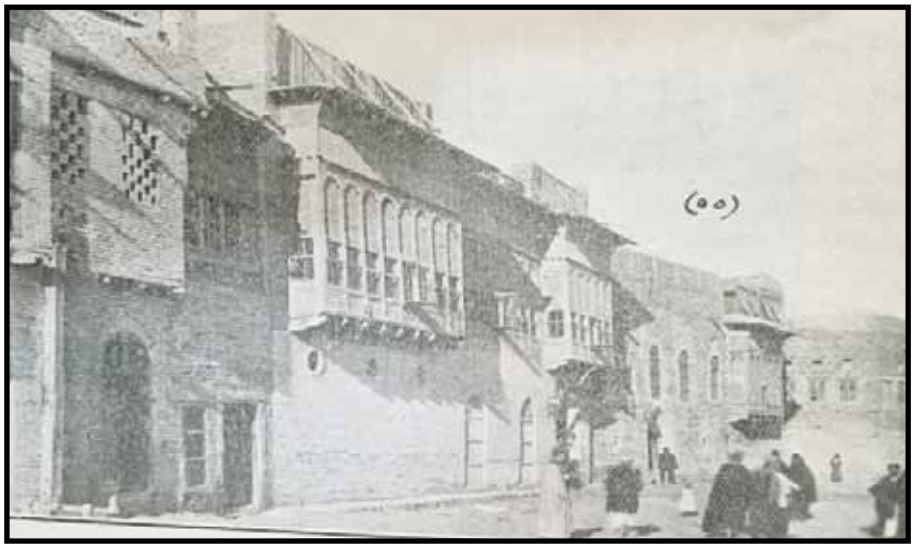

٤٧- محل المصرف العثماني سابقاً، ثم صار نادياً لنشأة الوطن، وهو في محلة سوق الدجاج في داخل البصرة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٤٩.

٤٨- السيد أحمد خانقاه.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٥١.

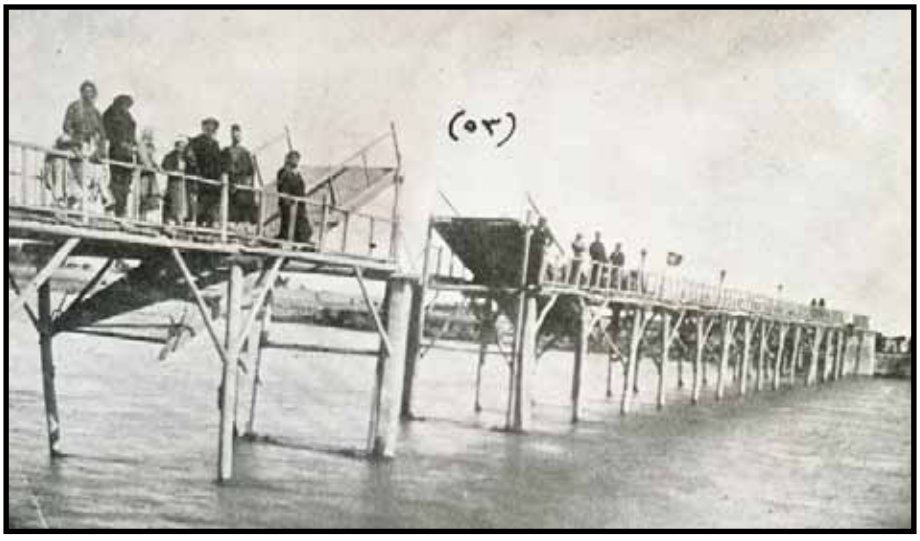

٤٩- جسر كحلة من ملحقات العمارة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٥٣.

٥٠- جسر العشار القديم قبل وصول الجوالات إلى البصرة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٥٥.

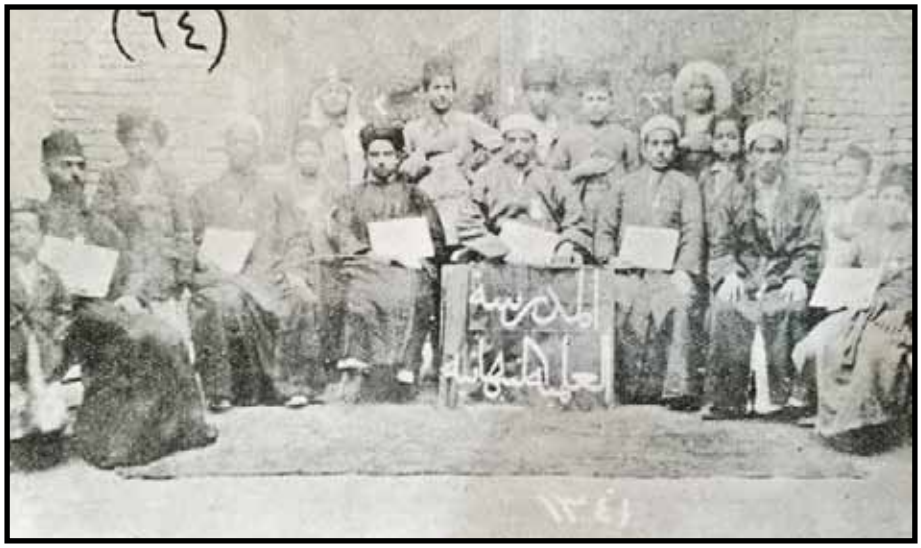

٥١- قسم من تلامذة مدرسة المؤلف في البصرة، وفي أيديهم مكافئات على نجاحهم.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٥٧.

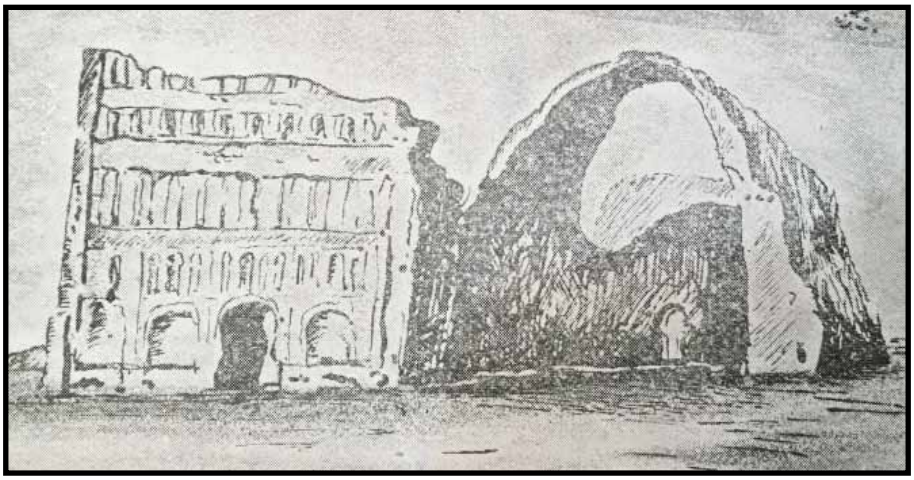

٥٢- صورة إيوان كسرى الحالي في سنة ١٣٤٣هـ.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٨٤.

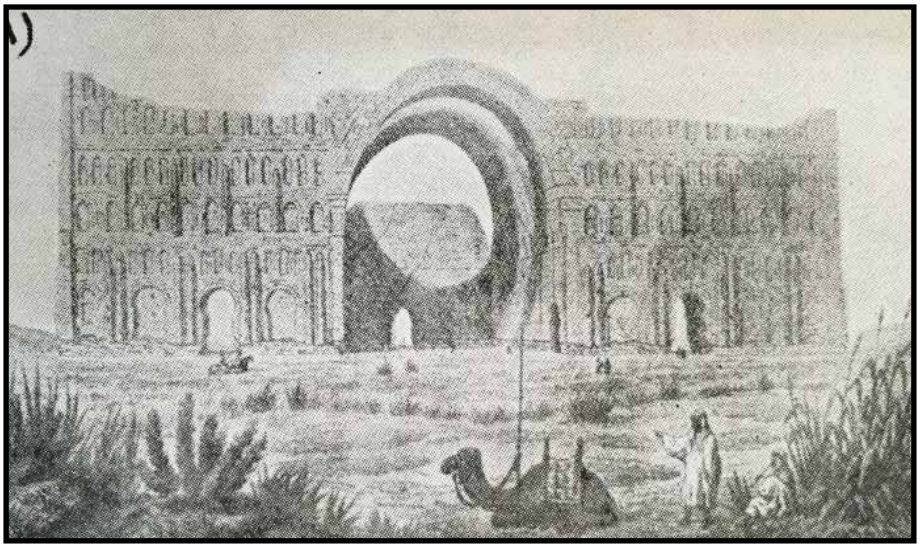

٥٣- هذه صورة قديمة جداً لإيوان كسرى (طاق كسرى).[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٣٩٢.

٥٤- علي أبو سُريح المعمِّر.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٢٦.

٥٥- صورة المؤلف مرسومة في البصرة سنة ١٣٤٤هـ.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة، ص٤٢٩.

جزء المنتفق:

٥- ٦ حمود بن نايف السويط، وعن يساره ابنه برغش.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٥.

٥٧- فهد باشا ابن علي الملقب بالدوّاي.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص٩٧.

٥٨- ثامر بيك بن سعدون باشا.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٢٧.

٥٩- سعود بيك بن سعدون باشا، ومطشر بيك بن عجمي باشا، وهو القابض على الدبوس.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق، ص١٦٥.

جزء الكويت:

٦٠- خالد بن الوليد المخزومي البطل المشهور صاحب الفتوحات العظيمة في الإسلام.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٥٦

٦١- الواقفون أمام قصر سمو الشيخ فهد، وهم: سمو الشيخ فهد السالم، وعن يمينه المؤلف، وعن يساره الشيخ يوسف بن نصر الله، ثم القاضي الشيخ عبد اللطيف الشملان.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٨٠.

٦٢- سمو الشيخ فهد السالم الصباح. أخذ رسمه سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م).[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٨٥.

٦٣- سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح مع المؤلف في قصر مشرف.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩٣.

٦٤- سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٩٥.

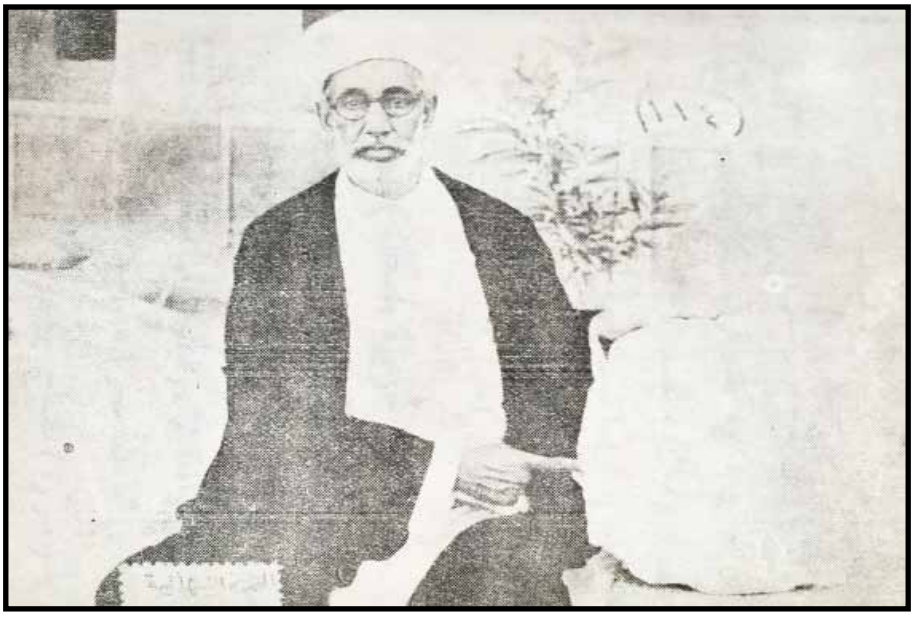

٦٥- صورة المؤلف وتحت يده الحجر الأثري.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١١١.

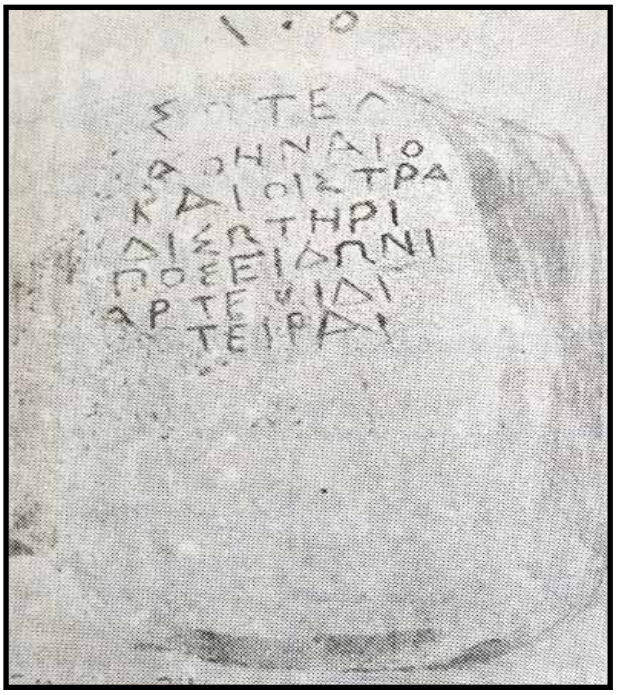

٦٦- صورة الحجر الأثري الذي تحت يد المؤلف بصورة مفردة عنه مكبرة.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١١٧.

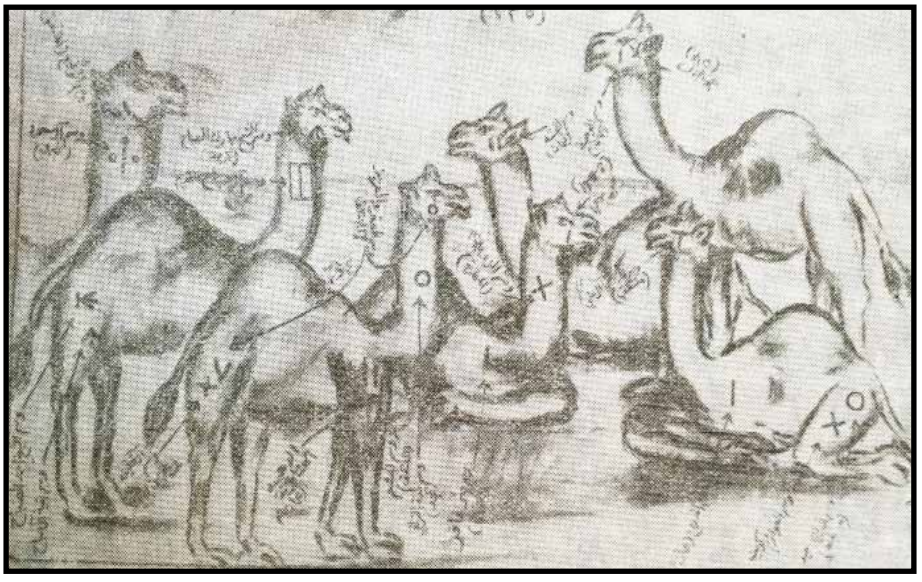

٦٧- صورة بعض الوسوم.[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص٢١٣.

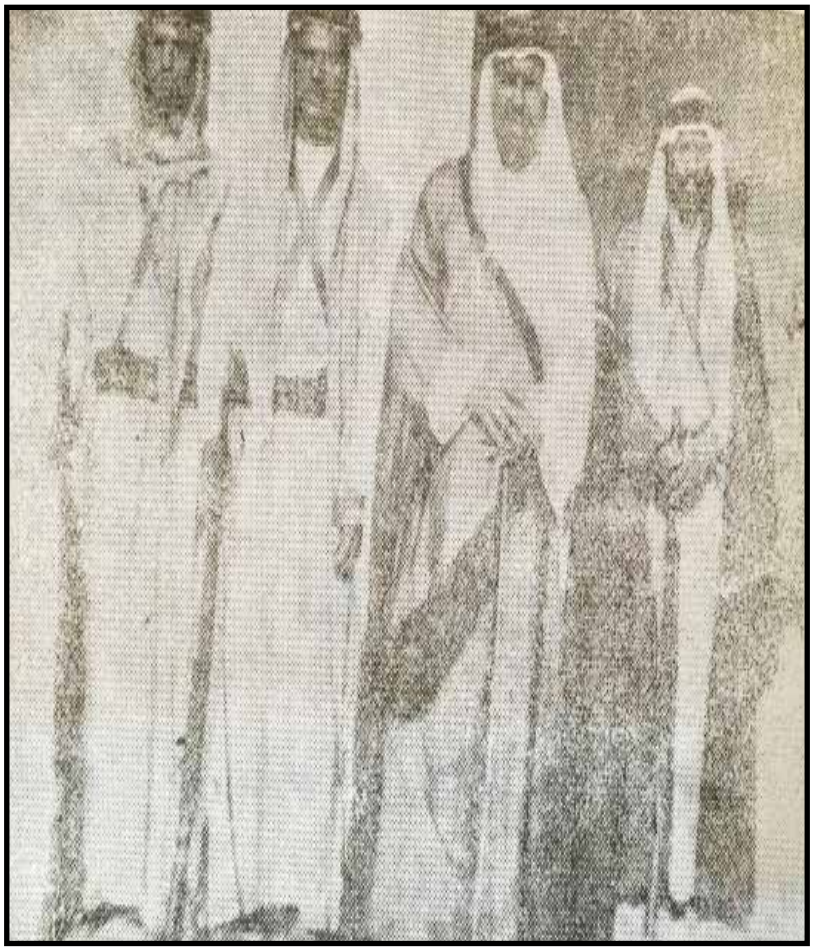

٦٨- سمو الأمير عبد الله بن أحمد الجابر الصباح[١]

(١) محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت، ص١٩٥.

قائمة المراجع

- ابن حزم الظاهري، جمهرة أنساب العرب، نسخة الكترونية.

- حسين عبد الله با سلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط٣، الكتاب العربي السعودي، مطبوعات تهامة، الرياض، ١٩٨٠م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، نسخة المكتبة الشاملة.

- راشد الفرحان، مختصر تاريخ الكويت، ط٢، مكتبة آفاق، الكويت، ٢٠١٢م.

- طلال الرميضي، من أعلام الغوص في قبيلة العوازم، ط٢، الكويت، ٢٠٠٦م..

- عبد العزيز العويد، معجم مساجد الكويت، ط١، غراس للنشر، الكويت، ٢٠١١م

- عبد المجيد حسن الغزالي، كتاب البصرة الموسوعي، ١٩٤١م

- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة.

- مؤسسة عبد العزيز البابطين، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، نسخة الكترونية.

- محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البحرين.

- محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج المنتفق.

- محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج البصرة.

- محمد النبهاني، التحفة النبهانية، ج الكويت.

- محمد علي التاجر، عقد اللآل في تاريخ أوال.

- معن العجلي، الخميسية وما حولها، ط٢، دار الثقافة، الدوحة، ٢٠٠٤م.

- موقع أمانة منطقة الرياض على شبكة الإنترنت.

- موسوعة شهداء الدعوة والحركة الإسلامية في العراق على شبكة الإنترنت.

- مدونة بشار الحادي على شبكة الإنترنت.

- موقع تاريخ الكويت على شبكة الانترنت

- مقالة بعنوان «عالم بحريني إمام ومدرس في الحرم المكي» لمحمد رفيق الحسيني بجريدة الأيام البحرينية، العدد ٩٢٦٥ الجمعة ٢٢ أغسطس ٢٠١٤ (٢٦ شوال ١٤٣٥هـ).

- مقالة بعنوان (عالم من مكة) في صحيفة الندوة

- مقالة بعنوان «مقبرة الحسن البصري.. ما زالت كلمات ساكنيها طريّة في ذاكرة الزمن» في جريدة المدى العراقية بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٣م.

- مقالة بعنوان «ملاحظات على التحفة النبهانية» لجلال آل هارون في مجلة الواحة، العدد ٦٠ - السنة ١٦ - شتاء ٢٠١٠م.

- مقالة بعنوان «هل تحتضن أرض الكويت قبور شخصيات مهمة في تاريخها» للمؤرخ فرحان الفرحان، منشورة في جريدة القبس الكويتية، بتاريخ ٧ نوفمبر ٢٠٠٨م.

- صحيفة الوسط البحرينية - العدد ٤٢٦٠ - الأربعاء ٧ مايو ٢٠١٤م (٨ رجب ١٤٣٥هـ).

المحتويات:

مقدمة: كتاب جمٌّ الفائدة.. قليل الحظ! ٣

الفصل الأول: النبهاني.. المؤلِف ٧

نسبه ٩

والده ١١

مولد المؤرخ محمد بن خليفة النبهاني، ونشأته ١٨

ارتحاله إلى البحرين والبصرة ١٩

أسرُه ٢١

استقراره في البصرة ٢٢

مؤلفاته عدا التحفة ٢٤

شعره ٢٧

وفاته ٣٠

الفصل الثاني: النبهانية.. المؤلَّف ٣١

أجزاء (التحفة النبهانية) ٣٣

أسلوب التحفة ٣٨

منهج النبهاني في التاريخ ٣٩

المراجع التي استخدمها النبهاني في تحفته ٤١

احتفاء الشعراء بالتحفة ٤٣

الطبعات الحديثة من كتاب التحفة النبهانية ٤٧

الملاحق ٤٩

١- مختصر الجزء الثامن من التحفة (الكويت) ٥١
منهجي في هذا الاختصار ٥٣
النص محققاً بعد اختصاره ٥٤
المقدمة ٥٤
حالة الكويت الطبيعية ٥٥
الموقع والحدود ٥٥
الحدود ٥٥
الاتفاقات والمؤتمرات ٥٦
مؤتمر الكويت ٥٦
مناطق الحياد ٥٧
المنطقة الحيادية الثانية ٥٧
اتفاقية جدة ٥٧
المنظر العام ٥٧
المساحة ٥٨
الجو ٥٨
الأمطار ٥٨
المياه ٥٨
الجبال ٥٩
قرى الكويت الشمالية ٦٠
قرى الكويت الجنوبية ٦٦
القرى الساحلية ٦٦
القرى الداخلية أو المتوسطة ٦٩

الأماكن المشهورة في الكويت ٧٤
الجزر البحرية ٧٥
الحكام والأمراء على الكويت، والهجرة إليها ٧٩
حالة الكويت الاقتصادية ٨٢
الزراعة والنبات ٨٢
المزروعات ٨٣
الحيوانات الأهلية أو الداجنة ٨٣
الحيوانات الوحشية أو المفترسة ٨٣
حيوانات الصيد البري ٨٤
المعادن والمناجم ٨٤
استغلال نفط الشرق الأوسط ٨٤
الغوص واللؤلؤ ٨٥
أشهر الغواصين في العالم ٨٦
صادرات الكويت ٨٦
الصناعة ٨٧
التجارة ٨٨
المآثر المقدسة ٨٨
الآثار القديمة ٨٩
العطلة الأسبوعية الرسمية، وعوائد الأفراح ٩٠
حالة الكويت السياسية ٩٠
السكان وتسوير العاصمة ٩٠
الأجناس ٩٢
الدين واللغة ٩٣
المساجد ٩٤

صلاة العيدين ١٠٠
رقي الكويت ١٠٠
الراية ١٠١
النخوة أو الاعتزاء ١٠١
الوسم أو العلامة ١٠٢
الأزياء والشعار ١٠٢
نهضة الكويت ١٠٥

٢- نصوص مختارة من التحفة النبهانية ١٠٧
رحلة النبهاني إلى بغداد ١٠٧
صفة الغوص للؤلؤ ١١٠
انقراض دولة الجبري ١١٣
مقتل رحمة الجلاهمة ١١٥
أعاجيب البصرة الثلاثة ١١٦
مقتل الضابط البريطاني «لجمن» ١١٧
المعمر أبو سريح ١١٩

٣- الصور الفوتوغرافية في التحفة النبهانية ١٢١
جزء البحرين ١٢١
جزء البصرة ١٣٢
جزء المنتفق ١٤٧
جزء الكويت ١٤٩
قائمة المراجع ١٥٥